

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

خواطر إسلامية

فى

التوعية البيئية والسكانية

للصف الثالث الإعدادى

العام الدراسى ٢٠١٦ - ٢٠١٧ م
١٤٣٧ - ١٤٣٨ هـ



جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

خــواطر إسلاميــة

فِى

التَّوْعِيَةِ الْبِيئِيَّةِ وَالسُّكَّانِيَّةِ

لِلصَّفِ الثالِثِ الإعدَادِى

تأليف
مصطفى كامل مصطفى




دار نهضة مصر
للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـد

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمين، بَديعِ السَّموَاتِ والأَرْضِ الَّذى أحْسَنَ كُلَّ شَىءٍ خلقَهُ وَبدأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِين، والصَّلاةُ والسَّلاَمُ عَلى إِمَامِ الهُدَى وَسَيِّدِ الـمُرْسَلِيْن (مُحمَّدٍ) وعلى آلِه وَصَحْبِهِ أَجْمَعين .

وبعـد ....

فَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ – سُبْحانَهُ وتَعالى – الْكَوْنَ بِكُلِّ ما فِيهِ وَمَنْ فِيهِ عَلَى أَرْوَعِ نِظَامٍ وَأَبْدَعِ تَكْوِين؛ لِيَكُونَ دَليلاً حِسِّيًّا شَاهِدًا عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ وإِرَادَتِه، فَجَعلَهُ نَظِيفًا جَميلاً خَالِيًا مِنْ كُلِّ مَا يشِينُ[1]، فَهَا هِيَ ذِى السَّمَوَاتُ الزَّرْقَاءُ الشَّفَّافَةُ خَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِق، لَوْحَةً رَائِعَةً مِنَ الْجَمَالِ تُزَيِّنُهَا شَمْسٌ ذَهَبِيَّةٌ وَقَمَرٌ فِضِّىٌّ وَمَلايِينُ مِنَ الكَواكِبِ والنُّجُوم فَسُبْحَانَ الَّذِى رَفَعَهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ، وَهَا هِيَ ذِى الأَرْضُ بِبِحَارِهَا وَأَنْهَارِهَا وَجِبَالِهَا وَسُهُولِهَا وَقَدْ جُهِّزَتْ لاسْتِقْبَالِ الإِنْسَانِ خَلِيفَةِ اللَّهِ – جَلَّ عُلاَه – تَشْهَدُ بِأَنَّه الْوَاحِدُ الأَحَدُ المُرِيدُ القَادِرُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّمْجِيدِ وَالتَّعْظِيم .

خَلَقَ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ وتعالى– الكَوْنَ قبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الإِنْسَانَ بمَلايين السِّنِينَ.

قال الله – تعالى – :

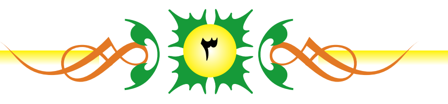
﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2]

ثُمَّ جَاءَ الإِنْسَانُ لِيَجدَ الْكَوْنَ بِكُلِّ مَا فِيهِ قَدْ أُعِدَّ لاسْتِقْبَالِهِ أعظمَ إِعْدَادٍ، وَفِي أَجْمَلِ صُورَةٍ، وسُخِّرَ لَهُ بكُلِّ مَا فِيه.

---

(١) يشِين : يعيب .

(٢) سورة البقرة الآية (٣٠).



قال الله – تعالى –:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[1]

وعِندَما جَاءَ الإِنْسَانُ إِلَى هَذَا الكَوْنِ، وجَدَ مِنَ المخْلُوقَاتِ الَّتِى سُخِّرَتْ له لِتَخْدُمَهُ وتُقَدِّمَ لَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيهِ مِنْ مُتَطَلَّبَاتِ حَيَاتِهِ الكَثِير والكَثِير ممَّا لاَ يُمْكِنُ حَصْرُه أَوْ إِحْصَاؤُه .

وَهَذِهِ الْمَخلُوقَاتُ نَوْعَان :



النَّوْعُ الأَوَّلُ

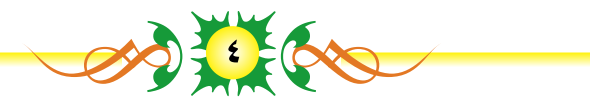
مَخْلُوقَاتٌ أَكْبَرُ مِنْ قُدرَاتِهِ وإِمْكَانَاتِه تُعْطِيهِ مُتَطَلَّبَاتِ الْحيَاةِ الأَسَاسِيَّة بِدُونِ مُقَابِلٍ وبدُونِ جَهْدٍ مِنْه، مِثْل الماءِ والهَواءِ والشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ والنَّهارِ، والأَنْهَارِ والجبَالِ والقِفَارِ والسُّهُولِ والوِدْيَان.... إلخ.

قال الله – تعالى –:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ[2] لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ[3] ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ[4] ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٩) . (٢) سخر : ذَلَّل ويَسَّر . (٣) دائِبَيْن : دَائِمَيْن .
(٤) لاتحصوها : لا تستطيعون عدها . (٥) سورة إبراهيم الآيات (٣٢ – ٣٤) .



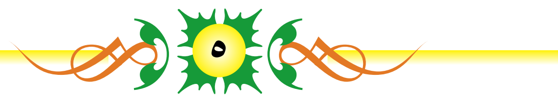
وقَدْ تجَلَّتْ حِكْمَةُ الله الْعَلِىِّ الْقَدِيرِ فى أَنْ يكُونَ هذا النَّوْعُ من المخْلُوقَاتِ خَاضعًا لِقُدْرَتِه وإِرادتِهِ - سُبحَانَهُ - وليْسَ خَاضِعًا لِقُدْرَةِ البشَر وَإِرَادَتِهِم، وَلَكَ أَنْ تَتخَيَّلَ - عزيزِى الطَّالب - لَوْ كَانتْ هَذِه المخْلُوقَاتُ خَاضِعَةً لإِنسانٍ مَا، أَوْ دَوْلَةٍ مَا فَمَا الَّذى كان سَيَحْدُثُ لِلْبشَرِيَّة وَقْتَهَا ... ؟

فالحَمْدُ لِلَّه الذِى سَخَّر تِلْكَ المخْلُوقَاتِ بِحِكْمَتِهِ وَإِرَادَتِه فَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين .

النَّوعُ الثانِى

مَخْلُوقَاتٌ سُخِّرَتْ للإِنْسَانِ لتُعْطِيَهُ مَا يشَاءُ، ولكِنَّها مُحْتَاجَةٌ إِلَى جَهْدِهِ مِثْلَ الزِّرَاعَةِ واسْتِخْرَاجِ المعَادِنِ... إلخ حَتَّى تَتمّ عِمَارَةُ الأَرْضِ بَأَمْرِ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - وحِكْمَتِهِ وَتدْبِيره وَعَمَلِ الإِنْسَانِ وَجَهْدِهِ وتَعَبِه فَإِذَا مَا اجْتَهَد وَتَعبَ حَافَظَ عَلَى مَا تَعِبَ مِنْ أَجْلِهِ، فحَافظَ علَى الكَوْنِ سَلِيمًا جَمِيلاً نَقيًّا كَمَا تَسَلَّمَه، وحَافَظَ على مَا فِيه مِنْ نِعَم حَسبَ مَا قَدَّرهُ الله لَهُ.

ومُنْذُ أَنْ وُجِدَ الإِنْسَانُ عَلَى الأَرْضِ وَهُو يَتَعامَلُ مع مُكَوِّنَاتِ الْكَوْنِ والبيئَةِ، يَأْخُذُ مِنْهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ وَشَرابٍ وَكِسَاءٍ... إلخ، وكُلَّمَا تَوَالَت الدُّهُورُ ازْدَادَ تحكُّمُ الإِنْسَانِ فِي البيئَةِ، وكلما تَقَدَّمَ الإِنْسَانُ فِي المعَارِفِ ازْدَادَ تَأْثِيرُه فِيها، وأَحْدَثَ فِيهَا التَّغَيُّرَاتِ الكَثِيرَةَ



لِينَالَ مِنْهَا حَاجَاتِهِ الَّتِى لا تَنْتَهِى، وأَصَابَهُ نَهَمٌ شَدِيدٌ فِى اسْتِخْدَامِ خَيْرَاتِهَا، وأَسْرَفَ فِى اسْتِخْدَامِ تِلْكَ الحَاجَاتِ .

قال الله – تعالى – فى شأن بنى إسرائيل :

﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (١)

وَنَسِىَ أَمْرَ الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٢)

وبَدأَت المُشْكِلاَتُ البِيئِيَّةُ تَظْهَرُ وَاضِحَةً، تُهَدِّدُ الإِنْسَانَ فِى صِحَّتِهِ وحَيَاتِهِ، وهذهِ المُشْكِلاتُ مِنْ صُنْعِ الإِنْسَانِ، وَسُوءِ اسْتِخْدَامِهِ، فَهِىَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ؛ لأَنَّهُ ابْتعَدَ عَنْ مَنْهَجِ الله – تعالى – وَنسِىَ أَنَّ رِسَالَتَهُ التَّعْمِيرُ لاَ التَّخرِيبُ .

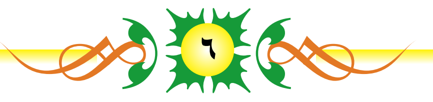
قالَ الله – تَعَالى – :

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ (٣)

وحَدَثَ اخْتِلاَلٌ كَبِيرٌ فِى الْبِيئَةِ الَّتِى لَوَّثَهَا الإِنْسَانُ، فَأَصْبَحَ أَهَمَّ وأَخْطَرَ مَا يُوَاجِهُ الإِنْسَانَ فِى العَصْرِ الحَالِى مُشْكِلَةُ تَلَوُّثِ البِيئَةِ ...

---

(١) سورة المائدة الآية (٣٢) . (٢) سورة الأعراف الآية (٣١). (٣) سورة البقرة الآية (٢٠٥) .



كَيْفَ يُعَالِجُ هَذَا التَّلَوُّثَ ... ؟

كَيْفَ يُحَافِظُ عَلَى التَّوازُنِ الطَّبِيعِيِّ فِى البِيئَةِ وَيُعَالِجُ الْخَلَلَ الَّذى طَرأَ عَلَيْهَا... ؟

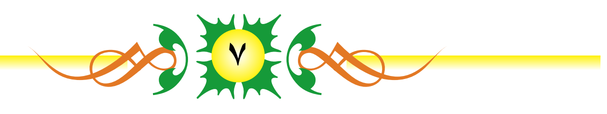
لَقَدْ أَصْبَحَ الهَوَاءُ النَّقِىُّ عُمْلَةً نَادِرَةً فى مُعْظَمِ المُدنِ ..... أَمَّا الْمَاءُ النَّظِيفُ أَو الَّذى كَانَ نَظِيفًا فِيمَا سَبَق فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلى جَهْدٍ جَبَّارٍ لِتَنْقِيتِهِ ممَّا لَوَّثَهُ... وتَحَوَّلَ الطَّعَامُ مِنْ غِذَاءٍ وَقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ إِلَى مَرَضٍ ...



أَنَّ أَسَاسِيَّاتِ الحَيَاةِ الَّتِى كَانَتْ مُتَوافِرَةً بِكَثْرةٍ تَفُوقُ احْتِيَاجَاتِ الإِنْسَانِ، وَلاَ تَتَطَلَّبُ جهْدًا فى تَخْلِيصِهَا مِن التَّلوُّثِ، هَذِه الأَسَاسِيَّاتُ أَصْبَحَتْ شُغْلَ الإِنْسَانِ الشَّاغِلَ؛ لأَنَّها الآنَ وَنَتِيجَةً لِمَا فَعَلَهُ بِالْكَوْنِ وَالْبِيئَةِ أَصْبَحَتْ تَتَقَلَّصُ شَيْئًا فَشَيْئًا.... وقَامَ العُلَمَاءُ والمرَبُّونَ كُلٌّ فِى مَجَالِ تَخَصُّصِه يُحَاوِلُ إِيجَادَ الْحُلُولِ المُنَاسِبَةِ لِعِلاَجِ مُشْكِلَةِ التَّلَوُّثِ البِيئِىِّ والسُّكَّانِىِّ.

وَنَدْعُو اللهَ لَهُم جَمِيعًا بالتَّوْفِيقِ .

وَقَدْ رأَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِوَاجِبِنَا فِى التَّوْعِيَةِ البِيئِيَّةِ والسُّكَّانِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الدِّينِيَّةِ رَاجِينَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُنَا هَذَا نَافِعًا لِوَطَنِنَا وَأُمَّتِنَا وَللإِنْسَانِيَّة جَمْعَاء.



وَقَدْ قُمْنَا بِتَقْسِيمِ الْكِتَابِ إِلَى أَرْبَعَةِ أَبْوابٍ، تَنَاوَلْنَا فِى الْبَابِ الأَوَّلِ التَّوازُنَ البِيئِىَّ فِى الإِسْلاَمِ، وَفِى البَابِ الثَّانِى تحَدَّثْنَا عَنْ كَيْفِيَّةِ المُحَافظَةِ عَلَى التَّوَازُنِ فَذَكَرْنَا الأُمُورَ الَّتِى يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ الالْتِزَامُ بهَا لِيُحَافِظَ عَلَى بيئَتهِ نَقِيَّةً نَظِيفَةً، كَمَا يُحَافِظُ عَلَى التَّوَازُنِ المَوْجُودِ بالبِيئَةِ بِتَرْشِيدِ اسْتِهْلاكِه لمَوَارِدهَا، وفِى البَابِ الثَّالِثِ تَنَاوَلْنَا السَّلْبِيَّاتِ الَّتِى تُؤَثِّرُ عَلَى البِيئَةِ وَعَلَى حَيَاةِ الإِنْسَانِ، ثُمَّ خَتَمْنَا كِتَابَنَا بِبَعْضِ الدُّرُوسِ الَّتِى جَاءَتْ فِى كِتَابِ اللَّه – سُبْحَانَهُ وتعالى– وَسُنَّة نَبِيِّه ﷺ الَّتِى تُوَجِّهُ أَنْظَارَنَا إِلَى المُحَافَظَةِ عَلَى التَّوَازُنِ البِيئِىِّ وَالَّتِى أَغْفَلَهَا بَعْضُ المُسْلِمِينَ فِى الوَقْتِ الَّذِى الْتَزَمَتْ بِهَا بَعْضُ الشُّعُوبِ غَيْرِ الإِسْلاَمِيَّةِ فَتَقَدَّمُوا بِهَا، وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ هُم أَصْحَابُ الْفَضْلِ فِى تَعْلِيمِهَا لِلْبَشَرِيَّةِ، وانْبَهرَ بَعْضُ أَبْنَاءِ الشَّرْقِ بِأَعْمَالِهِم مَعَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِى أَرْضِهِم، وَجَاءَتْ بِهَا شَرَائِعُهم وَقْتَ أَنْ كَانَ العَالَمُ الْغَرْبِىُّ يَتَعَثَّرُ فِى جَهْلِه وَتَخَلُّفِهِ .

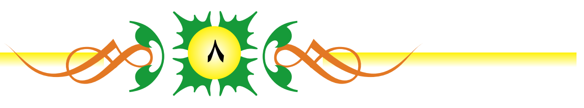
وَنَرْجُو مِنَ اللَّهِ – تَعَالَى – السَّدَادَ والتَّوفِيقَ إِنَّهُ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير.

قَالَ الله – تَعَالى – :



المؤلف

(١) سورة آل عمران آية (٨) .



الباب الأول

التَّوَازُنُ البيئيُّ فِى الإسلاَم



خلَقَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وتَعالَى – الإِنْسَانَ وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً فى الأَرْضِ، والخِلَافَةُ تَقْتَضِى مِنْهُ عِمارَةَ الأَرْضِ والتَّصرُّفَ فِى شُئُونِهَا حَسبَ مَنْهَجِ اللَّهِ – سُبْحَانَهُ وتَعالى – الَّذِى حَدَّدَهُ لهُ وَعلَّمَهُ إِيَّاهُ، وأَمَرَهُ بتَنْفِيذِهِ، قال اللَّهُ – تعالى –:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (١)

فَإِذَا قَامَ بِمَا أَمرَهُ اللَّهُ فِى هَذَا الشَّأْنِ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وإِذَا أَهْمَلَ وأَتْلَفَ فَهُوَ عَاصٍ وَآثِمٌ، وَالخِلَافَةُ بِهَذا المَعْنَى الَّذِى وَضَّحْنَاهُ عِبَادَةٌ وطَاعَةٌ، قال – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)



(١) سورة هود الآية (٦١) . (٢) سورة الذاريات الآية (٥٦) .

عِمَارَةُ الأَرْضِ عِبَادَةٌ، وَصِيَانَةُ الْكَوْنِ مِن الْفَسَادِ والتَّلَفِ عِبَادَةٌ لأَنَّهَا تَنْفِيذٌ لِتَعْلِيمَاتِ اللَّهِ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَى – للإِنْسَانِ عِنْدَمَا خَلَقَهُ وَجعَلَهُ خَلِيفَةً فى الأَرْضِ، وَوَاجِبُ الخَلِيفَةِ المُحَافَظَةُ عَلَى مَا اسْتُخْلفَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ أمَانَةٌ، وَإذَا أَهْمَلَ وَأَتْلَفَ أَوْ خَرَّبَ وَأَفْسَدَ فَقَدْ خَانَ الأَمَانَةَ وَضيَّعهَا، وخَرَجَ عَنْ دَائِرَةِ الْعِبَادَةِ والطَّاعَةِ إلى طَرِيقِ الْعِصْيَانِ وَالخيَانَةِ فَاسْتَحقَّ غَضَبَ اللَّهِ وَعِقَابَه فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

قال الله – تعالى –:

﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ(١) أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ(٢) مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾(٣)



خلَقَ اللَّهُ – تعالَى – الكَوْنَ نظِيفًا جَمِيلاً فِى أَعْظَم صُورَةٍ وَأَفْضَل تَنْسِيقٍ وَتَكَامُلٍ وَتَوَازنٍ.

---

(١) أَبَيْنَ : امْتَنَعْنَ .　　　(٢) أَشْفَقْنَ : خِفْنَ من عدَمِ تحَمُّلِهَا .

(٣) سورة الأحزاب الآية (٧٢) .



لقَدْ وَجدَ الإنْسَانُ عِنْدمَا خَلقَهُ اللَّهُ – تعالَى – هَذَا الكَوْنَ فِي اسْتِقْبَالِهِ وَهُوَ فِي أَعْظَمِ صُورَةٍ، وَأَجْمَلِ هَيْئَةٍ وأَفْضَلِ نِظَامٍ وَتَنْسِيقٍ وَتَكَامُلٍ وَاتِّزَانٍ.

قال اللهُ – تعالى –:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾(١)

فَسُبْحَانَ الخَالِقِ الْعَظِيمِ القَدِيرِ ....

﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾(٢)

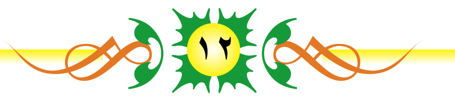
وَمِنْ حِكْمَتِهِ – جَلَّتْ حِكْمَتُهُ – أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الكَوْنِ قَدْ خُلِقَ بِمِقْدَارٍ وَنِسْبَةٍ لو زَادَتْ أَوْ نَقصَتْ لَفسَدَ مِيزَانُ الكَوْنِ، فَمَثَلاً لَوْ زَادَت الأَمْطَارُ لحَدَثَ طُوفَانٌ أَغْرَقَ الكَوْنَ بِمَا فِيهِ، وَلَوْ نَقصَتْ لحَدَثَ جَفَافٌ ولَهلَكَ الزَّرْعُ والإنْسَانُ والحَيَوانُ، وتَعرَّضتْ جَمِيعُ الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ لِلْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ، وقِسْ عَلَى ذَلك .

قَالَ الله – تَعَالى – :

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾(٣)

---

(١) سورة الغاشية الآيات (١٧ – ٢٠). (٢) سورة الأعلى الآيتان (٢ ، ٣)، ينظرون : يتأملون .
(٣) سورة الرعد الآية (٨)، بمقدار : بقدْر واحد لا يتعداه .



وقَالَ – جَلَّ شَأْنُهُ – :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[1]

وقَالَ – سبحانه – :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[2]

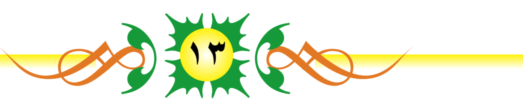
التَّـــوازُنُ والتَّكَامُلُ

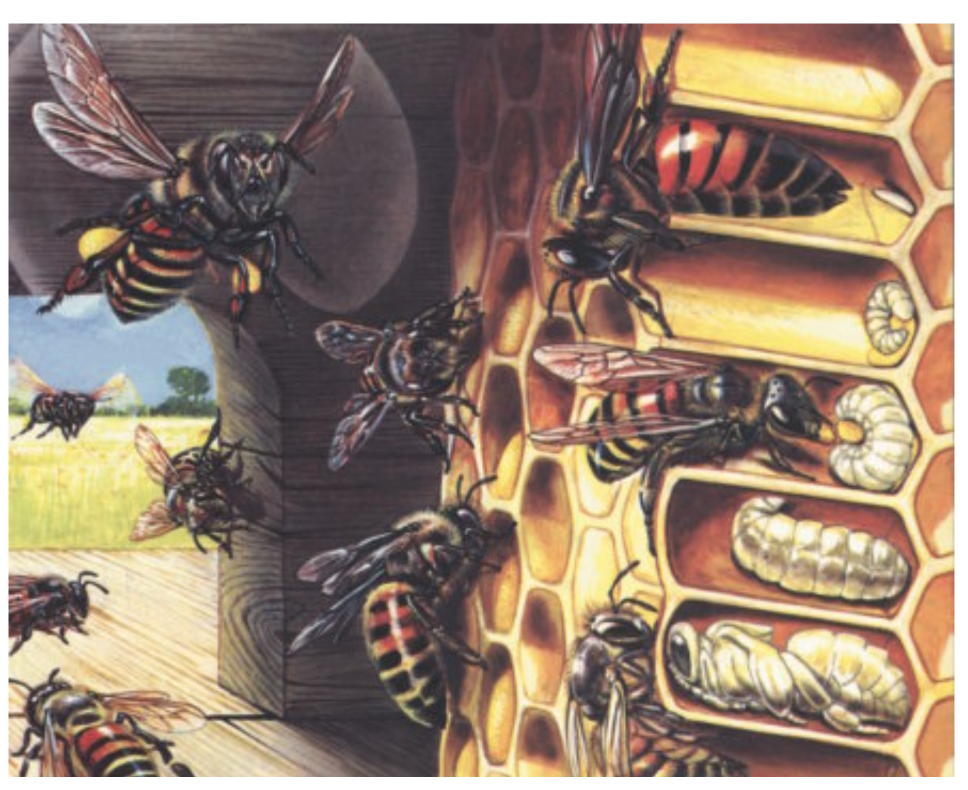
والأَمْثِلَةُ عَنِ التَّوازُنِ البيئِيِّ فِي الْكَوْنِ تَظْهَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَوْلنَا وَفِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالَى – فِي الْبَرِّ والبَحْرِ والجَوِّ، فِي الحَشَرَاتِ والحَيَوانَاتِ الأَلِيفَةِ والمُتَوحِّشَةِ والأَسْمَاكِ.... إلخ، في الغَابَاتِ والمُدُنِ والقُرَى، وهَذَا التَّوَازُنُ البيئِيُّ أَوْجَدَهُ المَوْلَى – سُبْحَانَهُ وتعَالَى – لِيُحقِّقَ مَعَ التَّوَازُنِ التَّكَامُلَ لِلْكَوْنِ، وتَنْقَسِمُ الأَرْضُ إِلَى عَدَدٍ مِن البيئَاتِ الطَّبيعِيَّةِ والمجْتَمَعَاتِ الْحَيَّةِ، وَكُلُّ مُجْتَمَعٍ مِن هَذِهِ المُجْتَمَعَاتِ يَعْمَلُ كَفَرِيقٍ مُتَعَاوِنٍ وَمُتَكَامِلٍ وَبِتَوَازُنٍ دَقِيقٍ يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الخَالِقِ الْمدبِّرِ قَال اللهُ – تعَالَى – :

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾[3]

---

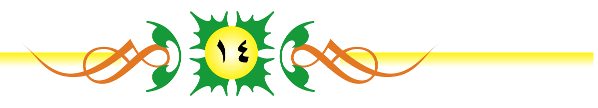
(١) سورة القمر الآية (٤٩) . (٢) سورة الحجر الآية (٢١) . (٣) سورة الشورى الآية (٢٧).





وَبِنَظْرَةٍ إِلى مُجْتَمَع النَّحْل - مَثَلاً - وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الْمَخْلُوقَاتِ تَنْظِيماً نَجِدُ أَنَّ أَعْضَاءَهُ يَعْمَلُونَ كَفريقٍ مُتَعَاونٍ، كُلُّ فَرْدٍ لَهُ وَظِيفَتُهُ وَيُؤَدِّى مَا عَلَيْهِ بِإتْقَانٍ كَبِيرٍ، ثُمَّ تُوَزَّعُ الأَفْرَادُ إِلَى مَجْمُوعَاتٍ، كُلُّ مَجْمُوعةٍ تَقُومُ بمَهَامٍ خَاصَّةٍ بِشَكْلٍ غَرِيزِىٍّ فَسُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَهَا وَأَلْهَمَهَا، وَهذِهِ المَمْلكَةُ يَتحقَّقُ فِيها التَّوَازُنُ العَدَدِىُّ وَاضِحًا لأَنَّهَا لَوْ زَادَتْ بِدُونِ رَابِطٍ لأَفْسَدَت الْكَوْنَ وَتحوَّلَتْ إِلَى كَائِنَاتٍ ضَارَّةٍ.

وَإِذَا انْتَقَلْنَا إِلَى بيئَةٍ أُخْرَى وَمُجْتَمعٍ آخَرَ وَجَدْنَا نِظَامًا آخرَ يَخْتَلِفُ فى شَكْلِهِ عَن النِّظَامِ السَّابِقِ ولكِنَّهُ يَتَّفِقُ مَعَهُ فِى الأَسَاسِ (التَّوَازُنِ الدَّقِيقِ، والتَّكَامُلِ العَجِيبِ).



وعِنْدَمَا نَنْتَقِلُ إِلَى الـمُجْتَمعِ الإِنْسَانِيِّ وَهُو أَهَمُّ هَذِه الْمُجْتَمَعَاتِ وَأَعْظَمُهَا بِسَبَبِ المَيزَاتِ الَّتِي مَيَّزَهُ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وتَعَالى – بِهَا عَلَى سَائِرِ مَخْلُوقَاتِهِ، فَإِنَّنا سَوْفَ نَجِدُ التَّكَامُلَ وَالتَّوازُنَ فِي أَعْظَمِ صُوَرِهِ.

الْمُتَأَمِّلُ فِي المَنْهَجِ الإِسْلاَمِيِّ يَرَى أَنَّهُ مَنْهَجٌ مُتَوَازِنٌ مُتَكَامِلٌ، وَهُوَ يُحَقِّقُ التَّوازُنَ فِي الإِنْسَانِ، يَعِيشُ بِهِ الإِنْسَانُ مُتَوازِنًا مَعَ نَفْسِهِ، وَمُتَوازِنًا مَعَ غَيْرِهِ، وَهَذا التَّوَازُنُ الإِنْسَانِيُّ يَنْقَسِمُ إِلَى نَوْعَيْنِ.

النَّـــوْعُ الأَوَّلُ

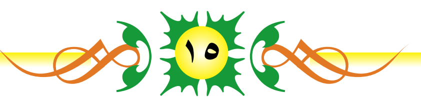
تَوَازُنٌ خَلْقِيٌّ: مِنْ إِبْدَاعِ وَخَلْقِ المَوْلَى –عَزَّ وَجَلَّ– وَلاَ دَخْلَ للإِنْسَانِ فِي وُجُودِهِ، وَإِنَّما هُوَ يَنْعَمُ بِهِ وَيُحَافِظُ عَلَيْهِ، وَقَدْ تَحَدَّثَ العُلَمَاءُ المُتَخَصِّصُونَ كَثِيرًا فِي التَّوازُنِ وَالتَّكَامُلِ فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ سَوَاءٌ فِي الأَجْهِزَةِ الدَّاخِلِيَّةِ فِي جِسْمِهِ كَالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ وَالْكُلَى، أَوِ الأَجْهِزَةِ الظَّاهِرَةِ كَالْحَوَاسِّ مِنْ عَيْنَيْنِ وَأُذُنَيْنِ، وَيَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ.

قال الله – تعالى – :

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (١)

وَتَحَدَّثُوا أَيْضًا عَنِ التَّكَامُلِ والتَّوازُنِ بَيْنَ الأَجْهِزَةِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ وَكَيْفَ أَنَّ كُلاًّ مِنْهَا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الآخَرِ، وَسَنَكْتَفِي

(١) سورة البلد الآيات (٨–١٠)، النجدين : طريقي الخير والشر .



بمِثَالٍ وَاحِدٍ يَدُلُّ عَلَى التَّوَازُنِ والتَّكَامُلِ فِى جِسْمِ الإِنْسَانِ، الْيَدُ لَا تَسْتَطِيعُ الاسْتِغْنَاءَ عَنْ أُخْتِهَا الْيَدِ الأُخْرَى ولاتَسْتَطِيعُ الْعملَ مُسْتَقِلَّةً عَنْ بَقِيَّةِ الأَعْضَاءِ، وَعِنْدَمَا تَعْمَلُ وَتَتَحَرَّكُ فإِنَّها لَاتَعْمَلُ مُسْتَقِلَّةً عن بَقِيَّةِ الجِسْمِ، لأَنَّها مُرْتَبِطَةٌ بِالعُرُوقِ والدَّمِ وَالأَعْصَابِ وَالْمُخِّ وَلَو انْفَصَلَتْ عَنْ هَذِه الأَجْزَاءِ لَفَقَدَت القُدْرَةَ عَلَى الحَرَكَةِ، بَلْ وفقَدَت الحَيَاةَ (أُصِيبَتْ بالشَّلَلِ)، ومَا يُقَالُ عَنِ الْيَدِ يُقَالُ عَنْ بَاقِى الأَعْضَاءِ الأُخْرَى، وَعَلَيْكَ أَيُّها الإِنْسَانُ أَنْ تَتَقدَّمَ فِى كُلِّ لَحظَةٍ بِالشُّكْرِ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِهَذِهِ النِّعَمِ العَظِيمَةِ، فَهُوَ – عَزَّ وَجَلَّ –:

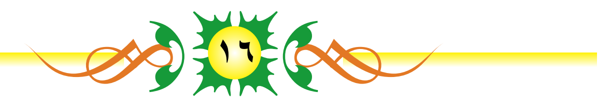


النَّوْعُ الثانِى

تَوَازُنٌ خُلُقِيٌّ: وَهُو تَوَازنٌ يَتِمُّ بِجَهْدِ الإِنْسَانِ وَفِكْرِهِ وَعِلْمِه بَعْدَ أَنْ عَلَّمَهُ إِيَّاهُ رَبُّهُ الَّذِى :–



(١) سورة الانفطار الآيتان (٧ – ٨)، فسواك فعدلك: جعلك مستوى الخلْق معتدل الأعضاء .
(٢) سورة العلق الآية (٥) .



يَنْقَسِمُ هذَا النَّوْعُ إِلَى تَوَازُنٍ فِى الطَّاقاتِ، وَفِى العِبَادَاتِ والعِلاَقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والسُّلُوكِ.



(أ) تـوَازنُ الطَّاقاتِ :

مِنْ سِمَاتِ الدِّينِ الإِسْلاَمِىِّ التَّوَازُنُ بَيْنَ الطَّاقَاتِ الجِسْمِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ فِى الإِنْسَانِ وَاسْتِغْلاَلِهَا فِى عِمَارَةِ الْكَوْنِ لِيُحَقِّقَ بِهَا مهمَّةَ الخِلاَفَةِ فِى الأَرْضِ، وَتَعْطِيلُ أَىِّ طَاقَةٍ مِنْهَا خُرُوجٌ عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالى–.

قَال سَلْمَانُ لأَبِى الدَّرْدَاءِ – رضى اللَّه عنهما –: «إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ» فَأَتى النَّبِىَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فقالَ النَّبِىُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»(١) .

(١) متفق عليه .





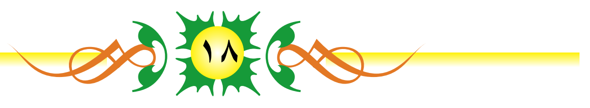
مِنْ سِمَاتِ الدِّينِ الإِسْلاَمِيِّ التَّوازُنُ بَيْنَ الطَّاقَاتِ الرُّوحِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ وَالجِسْمِيَّةِ

وَالحَدِيثُ الشَّرِيفُ يَرْسمُ لَنَا صُورَةً مِنْ صُوَرِ التَّوَازُنِ الرَّائِع .

فَهُنَاكَ حَقٌّ عَلَى الإِنْسَانِ نَحْو خَالِقِه، يَتَمَثَّلُ فِى الشُّكْرِ للَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَإِخْلاَصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَالالْتِزَامِ التَّامِّ بِأَوَامِرِه، والابْتِعَادِ التَّامِّ عَنْ كُلِّ مَا نَهَى عَنْه .

وَهُنَاكَ حَقٌّ للإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ يَلْزَمُهُ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى صِحَّتِهِ وَيَهْتَمَّ بِثَقَافَتِهِ وأَلاَّ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِلْهلاكِ .

وَهُنَاكَ حَقٌّ يَجِبُ عَلَيْهِ نَحْوَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَجِيرَانِهِ فَيَعْمَلُ عَلَى إِسْعَادِهِم وَمُسَاعَدَتِهِم وَدَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهُم وَيَتَعاوَنُ مَع الجَمِيعِ فِى الْخَيْرِ .



قَال الله – تعَالى – :

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (١)

مِنْ أَجْلِ هَذَا فَإِنَّ الإِنْسَانَ مُطَالَبٌ بِالكَشْفِ عَن كُنُوزِ الأَرْضِ وَالتَّعَرُّفِ عَلَى رِزْقِ الله الوَاسِعِ فِيهَا، مُطَالَبٌ بِاسْتغْلالِ كُلِّ خَيْرَاتِ الأَرْضِ لِترْقِيَةِ الحيَاةِ وَتنْمِيَتِهَا، والوُصُولِ بِهَا إِلَى أَعْلَى وَأَفْضَلِ مُسْتَوى مِن الرُّقِيِّ والتَّطَوُّرِ.



قَال الله – تعَالى – :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة الآية (٢) .

(٢) سورة يونس الآية (١٠١) ، النذر : الرسل.

وَهُوَ يَسْتَخْدِمُ فِي تحقيقِ ذَلكَ طَاقَاتِهِ الَّتي أَنْعَمَ اللَّهُ – تَعالى – بِهَا عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِاسْتِخْدَامِ عَقْلِهِ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى أَسْرَارِ الْكَوْنِ وَقوانِينِهِ واسْتِغْلاَلِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ فِي تَنْظِيمِ الحياةِ البَشَرِيَّةِ وَتَقْوِيمِهَا والسَّيْرِ بِهَا عَلَى مَنْهجٍ قَوِيمٍ هُوَ أَوَّلاً وأَخِيرًا مَنْهَجُ اللَّهِ – سُبْحَانَه وَتَعالَى –

يقول الله ـ تعالى ـ :

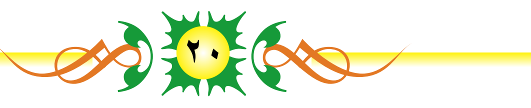
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1]

وَلأَهَمِّيَّةِ هَذِه الطَّاقَةِ وَرَدَتْ كَلمَةُ «يَعْقِلُونَ» فِي الْقُرْآنِ اثْنَتَيْنِ وعِشْرِينَ مَرَّةً، وَكَلِمةُ «تَعْقِلُونَ» أَرْبعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً .

ثُمَّ تَأْتِي الطَّاقةُ الجِسْمِيَّةُ وَالعَضَلِيَّةُ لِتُحقِّقَ مَا تَوصَّلَتْ إِلَيْهِ الطَّاقةُ الْعَقْلِيَّةُ مِنْ عِمَارَةٍ لِلْكَونِ وتَطْوِيرٍ وَتَسْخِيرٍ لِكُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ – سُبْحَانَه وَتَعالَى – بِالْعَمَلِ، فَيَشُقُّ الصُّخُورَ وَيَحْفِرُ الآبَارَ وَيزْرَعُ وَيصْنَعُ وَيبْنِي وَيُعَمِّرُ إِلَى آخِرِ مَا يَقُوم بِهِ الْجِنْسُ البَشَرِيُّ مِنْ نَشَاطٍ فِي الْكَوْنِ، وَتَأْتِي الطَّاقَةُ الرُّوحِيَّةُ ولأَنَّهَا الطَّاقَةُ الْمُتَّصِلَةُ بِالخَالِقِ

---

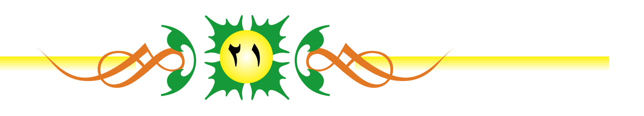
(١) سورة البقرة الآية (١٦٤) ، بث : نشر وفرق.



–جَلَّ وَعَـلاَ– وَالَّتِى تَسْتَمِدُّ مِنْهُ قُوَّتَهَا، وَتَهْتَدِى بِهَدْيِهِ عِنْدَمَا يَسْتَخْدِمهَا الإِنْسَانُ فِى التَّعَرُّفِ إِلَى اللَّهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالى – والتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالخَشْيَةِ مِنْهُ –سُبْحَانَه – تَأْتِى لِتُنَظِّمَ وَتَحُدَّ مِن انْدِفَاعِ الطَّاقَتَيْنِ الْجسَدِيَّةِ والْعَقْلِيَّةِ، وَتَرْبِطَهُمَا بِرِبَاطِ التَّقْوَى وَإِيصَالِ الخَيْرِ لِكُلِّ البَشَرِ وَتُحوِّلَ الفَائِدَةَ من فَرْدِيَّةٍ إِلى« جَمَاعِيَّةٍ» فَالجَمِيعُ شُرَكَاءُ فِى كُلِّ ثِمَارِ الْحَيَاةِ، ولَيْسَ الْمَقْصُودُ بِكَلِمَةِ «جَمَاعِيَّةٍ» الدَّعْوَةَ لأَىِّ مَذْهَبٍ اقْتِصَادِىٍّ كالاشْتِراكِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا، وَلكِنَّ المقْصُودَ أَنْ يَكُونَ الإِنْسَانُ مُفِيدًا لِنَفْسِه وَمُفِيدًا لِغَيْرِه، فَمَا اسْتَحَقَّ أَنْ يُولَدَ مَنْ عَاشَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ، والنَّاسُ جَمِيعًا خُلَفَاءُ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَكُلُّ شَقَاءٍ أَوْ تَعَبٍ يُصِيبُ الإِنْسَانَ هُوَ نَتِيجَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِفُقْدَانِ التّوَازُنِ فِى دَاخِلِ نَفْسِهِ .

(ب) التوازُنُ فِى العبادَاتِ :

أَفْعَالُ الإِنْسَانِ وأَعْمَالُهُ تُحقِّقُ التَّوَازُنَ فِى أَكْمَلِ صُورَةٍ لأَنَّهَا كُلَّها عِبَادَةٌ. فَالعِبَادَةُ فِى الإِسْلاَمِ تَشْمَلُ الحَيَاةَ كُلَّهَا ولَيْسَتْ قَاصِرةً عَلَى أَدَاءِ المنَاسِكِ المعْرُوفَةِ مِن صَلاَةٍ وَزكَاةٍ وَصَوْمٍ وَحجٍّ، وَإِنَّمَا هِىَ أَعْمَقُ مِنْ ذَلِك وَأَوْسَعُ، فَهَذِهِ المنَاسِكُ إِنمَّا هِىَ مَفَاتِيحُ لِلْعِبَادَةِ الحَقَّةِ وَالَّتِى تَشْمَلُ كُلَّ مَا يَقُومُ بِهِ الإِنْسَانُ مِنْ أَقْوالٍ أَوْ أَفْعالٍ، وَالعِبَادَةُ الحقَّةُ لاَ تَقْتَصِرُ عَلَى اللَّحظَاتِ الْقَصِيرَةِ الَّتِى يَقْضِيهَا المُسْلِمُ فِى أَدَائِهَا، وليْسَ هَذَا هُوَ المَقْصُود مِن قَولِهِ – سُبْحَانَه وتعَالَى –:



﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]

فالَّذِى يَلْتَزِمُ الصِّدْقَ والخَيْرَ والمَعْرُوفَ فِى كَلامِهِ، وَيَجْتَنِبُ الكَذِبَ والغَيبَةَ والنَّمِيمَةَ والفُحْشَ وَالبَذَاءةَ فهو **(فى عِبَادَةٍ)** .

قال الله –تعالى– :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[2]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ، وإن الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلى الفُجُور، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ، وَإِنّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كذَّابًا » [3] .

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلاَ بِاللَّعَّانِ وَلاَ الفَاحِشِ البَذِىءِ» [4] .

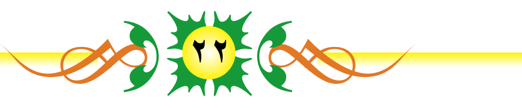
والتَّاجِرُ أَو الصَّانِعُ أَو المزَارِعُ إذا تَعامَلَ أَىٌّ مِنْهُم مَعَ النَّاسِ بِأَمَانَةٍ وَتحرَّى الحَلاَلَ وابْتعَدَ عَنِ الحرَام فهو **(فى عِبَادَةٍ)** .

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قال :

«التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ والصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ» [5] .

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦) . (٢) سورة التوبة الآية (١١٩) .
(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه أحمد . (٥) رواه مسلم .



والموظَّفُ إذَا أَدَّى واجِبَهُ تامًّا، وقامَ بخِدْمَةِ الجماهِيرِ الَّتِى تَتَعَامَلُ مَعَهُ، مُلْتَزِمًا بِواجبَاتِ وَظِيفَتِهِ، وَلَمْ يَتَكَاسَلْ أَوْ يَتَهرَّبْ، وَصَانَ كَرَامَتَهُ وَدِينَه من الرِّشْوَةِ أَوْ المحْسُوبِيَّةِ، فَهُوَ **(فِى عِبَادَةٍ)** .

عَنْ أَبِى حَمِيدٍ الساعِدِىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً مِن الأَسْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللّتْبِيَّة عَلَى الصَّدَقَة، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُم وهَذا أُهْدِىَ لِى، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**مَا بَالُ عَامِلٍ أَبْعَثُهُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِى لِى، أَفَلاَ قَعَدَ فِى بَيْتِ أَبِيه أَوْ فِى بَيْتِ أُمِّهِ حَتَّى يَنْظُر أَيُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَنَالُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إلاَ جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ: بعيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، أو بقرةٌ لها خُوارٌ، أو شَاةٌ تيعرُ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتَىْ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ.. مَرَّتَين**»[1] .

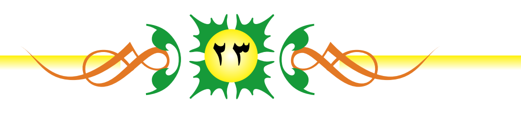
والَّذِى يُحْسِنُ مُعَامَلَةَ والِدَيْهِ وَيَبَرُّ أَهْلَهُ وأَقَارِبَهُ وَيُرَبِّى أَولاَدَهُ تَرْبِيَةً سَلِيمَةً فَهُو **(فِى عِبَادَةٍ)** .

وَهَذَا المَفْهُومُ هُو الَّذِى وَضَّحَتْهُ الآيَةُ الكَرِيمةُ :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ[2] أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ[3]

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) البرُّ : كلمةٌ تجمعُ أعمالَ الخير كلها .
(٣) ابنُ السَّبيل : المسافرُ المنقطعُ عن أَهلِه .



﴿ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ[1] وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ[2] وَالضَّرَّاءِ[3] وَحِينَ الْبَأْسِ[4] ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾[5]

وَهِىَ بِهَذَا ـ أَيْضًا ـ تُحقِّقُ التَّوَازُنَ فِى كُلِّ أُمُورِ الْحيَاةِ؛ تَوازُنٌ فِى الـمَادِّيَّاتِ والـمَعْنَوِيَّاتِ، تَوَازُنٌ فِى النُّظُمِ الاقْتِصَادِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ والسِّياسِيَّةِ، تَوَازُنٌ بَيْنَ النَّزعَاتِ الفَرْدِيَّةِ والجمَاعِيَّةِ. ونعُودُ الآنَ إِلى مَفَاتِيحِ العِبَادَةِ، أَوالمحطَّاتِ الَّتِى يَقِفُ عِنْدَهَا المُسْلِمُ لِيَسْتَعِيدَ تَوَازُنَهُ فِى الْحيَاةِ.

الصَّــــلاة

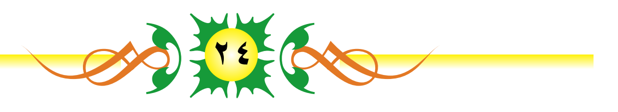
قال الله – تعالى –:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۗ ﴾[6]

عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ وَرِيَاضَةٌ جَسَدِيَّةٌ، تُحَقِّقُ أَعْلَى دَرَجَاتِ التَّوَازُنِ ولِذَلكَ تَتَكَرَّرُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِى اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، يَقِفُ فِيهَا الْعَبْدُ أَمَامَ رَبِّهِ خَاشِعًا ذَلِيلاً طَاهِرًا نَظِيفًا يُجَدِّدُ مِيثَاقَ الطَّاعَةِ والعُبُودِيَّةِ، يَبْدَؤُهَا بَعْدَ قِيَامِهِ مِنْ نَوْمِهِ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلى المُجْتَمَعِ مِنْ حَوْلِه وَقَدْ تَزَوَّدَ بِزَادِ التَّقْوى،

---

(١) فِى الرِّقَابِ : لِتحريرِ الأرقاءِ (العبيد)، وفى عصرنا لتحرير الأَسْرى وفدائهم.
(٢) البَأْسَاءُ : الفقرُ .　　(٣) الضَّرَّاءُ : المرضُ .
(٤) البأسُ : القتالُ والحربُ .　　(٥) سورة البقرة الآية (١٧٧).
(٦) سورة العنكبوت الآية (٤٥).



فَلاَ يَرْتَكِبُ إِثْمًا يُغْضِبُ رَبَّه، وَلاَ يَظْلِمُ أَوْ يَغِشُّ، وَيَتَكَرَّرُ اللِّقَاءُ وَيَتَكَرَّرُ الْعَهْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَالِقِهِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِي بِصَلاَةِ العِشَاءِ أَيْ أَنَّهُ فِي عَهْدٍ وَرِبَاطٍ مَعَ خَالِقِهِ مِنْ أَوَّلِ اليَومِ إِلى آخِرِه.

وَقَدْ فَضَّلَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – صَلاَةَ الجَمَاعَةِ عَلَى صَلاَةِ الْفَرْدِ لأَنّ الجَمِيعَ يَقِفُ فِي مُسَاوَاةٍ كَامِلَةٍ لاَ فَرْقَ بَيْن غَنِيٍّ وَفقيرٍ أَوْ وَزِيرٍ وخَفِيرٍ، الكُلُّ أَمَامَ اللَّه سَوَاءٌ.

والصَّلاَةُ تَكْبَحُ جِمَاحَ الْبَشَرِ، فَلاَ يَشْطُط الإِنْسَانُ مُغْتَرًّا بِمَالِهِ أَوْجَاهِهِ أَوْ قُوَّتِهِ، فَهُوَ يَتَعَامَلُ مَعَ مَنْ هُمْ أَقَلُّ مِنْهُ، ثُمَّ يَقِفُ أَمَامَ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ وَأَقْوَى وَأَغْنَى مِنْهُ وَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ التَّوَازُنُ بِتَحَقُّقِ الْهَدَفِ مِنْ أَدَاءِ الصَّلاَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، والصَّلاةُ تُحَقِّقُ لِلإِنْسَانِ التَّوَازُن فِي يَوْمِهِ مِنْ خِلالِ التَّنْظِيم وَتَعَوُّده عَلَى الانْضِبَاط.

الزكَــــاةُ

قال الله – تعالى –:

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (١)

عِبَادَةٌ مَالِيَّةٌ فَرَضَها اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – ؛ لِتُطَهِّرَ نُفُوسَ الأَغْنِيَاءِ مِن الشُّحِّ وَالبُخْلِ وَتُعَالِجَهَا مِن الأَثَرَةِ والأَنَانِيَّةِ، وتُحَقِّقَ التَّوَازُنَ الْمَادِّيَّ، فَلاَ يُصْبِحُ المَالُ حِكْرًا عَلى فِئَةٍ مِنَ النَّاسِ دُونَ فِئَةٍ .

---

(١) سورة الحج الآية (٧٨) .



قال الله – تعالى –:

﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ﴾[1]

وَهِي – أَيْضًا – تُطَهِّرُ نُفوسَ الفُقَرَاءِ مِنَ الْحِقْدِ والبُغْضِ فَلاَ يَسْخَطُ مُحْتَاجٌ عَلَى صَاحِبِ مَالٍ، فَتُحَقِّقُ بِذَلِك التَّوَازُنَ الاجْتِمَاعِيَّ، وَتُحَقِّقُ التَّكَافُلَ الاجْتِمَاعِيَّ بِمَا تُقَدِّمُهُ لِلْفُقراءِ مِنَ الْيَتَامَى أَو الأَرَامِلِ أَوْ كِبَارِ السِّنِّ الذِينَ عَجَزُوا عن الْعَمَلِ.

وَمِنْ أَمْوَالِ الزَّكَاةِ يَبْنِى النَّاسُ الْمَدَارِسَ الَّتِى نَتَعَلَّمُ فِيها، وَمِنْ هَذهِ الأَمْوَالِ – أَيْضًا – تُبْنى المُسْتَشْفَيَاتُ لِعلاجِ الْمَرْضَى .

وَالزَّكَاةُ تُحقِّقُ التَّوَازُنَ البيئِىّ فِى المالِ، فَالغَنِىُّ إِذَا وَصَلَتْ أَمْوَالُهُ إِلَى حَدٍّ مُعَيَّنٍ (النِّصَاب) أَخْرَجَ مِنْه جُزْءًا يَسِيرًا ٢,٥٪ سَنَوِيًّا؛ لِيُقَدِّمَهُ إِلَى مَنْ لاَ يَمْلِكُ مِن الفِئَاتِ الَّتِى حَدَّدَها القُرْآنُ الكَرِيمُ .

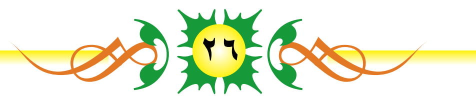
قَالَ الله – تَعَالَى – :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]

---

(١) سورة الحشر الآية (٧) ، دُولَةً : ملكًا مُتداولاً بين الأَغنياءِ فقط.

(٢) سورة التوبة الآية (٦٠) ، الغَارِمِين: من عليهم ديون لا يستطيعون قضاءها .



وَالزَّكَاةُ لاَ تَقِفُ فِي وَجْهِ الغِنَى والْكَسْبِ الحَلاَلِ، بَلْ تُشَجِّعُ النَّاسَ عَلَى الْعَمَلِ والْكَسْبِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ ما كان عَنْ ظَهْرِ غِنى**»[١].

وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ الجُهَّالِ مِنْ عَبَدَةِ المالِ أَنَّ الزَّكَاةَ وَالصَّدَقَةَ تُنْقِصُ أَمْوَالَهُم، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ أَنَّهَا تُطَهِّرُهَا وَتُنَمِّيهَا ، قال الله – تعالى –:



وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ما نَقَص مالُ عبدٍ من صَدَقة**»[٣].

حدث بالفعل

جَلَسَ أَحَدُ الأَغْنِيَاءِ مِنْ أَصْحَابِ المَلاَيين يَشْكُو لِصَدِيقٍ لَهُ مِنَ الْكَوارِثِ الَّتِي تُلاَحِقُهُ، فَالأَدَوَاتُ الكَهْرَبَائِيَّةُ تَفْسَدُ كَثِيرًا، وَسَيَّارَتُهُ الغَالِيَةُ الجَدِيدَةُ تَحَطَّمَتْ وَهِيَ وَاقِفَةٌ أَمَامَ مَنْزِلِه.

سَأَلَهُ صَدِيقُهُ : هَلْ تُؤَدِّي زَكَاةَ أَمْوالِكَ ؟

أَجَابَ الْغَنِيُّ : إِنَّنِي أَتَصَدَّقُ كَثِيرًا عَلَى الفُقَرَاءِ .

فَقَالَ لَهُ الصَّدِيقُ : أَسْأَلُكَ عَنِ الزَّكَاةِ المَفْرُوضَةِ لَا عَنِ الصَّدَقَاتِ .

سَأَلَ الغَنِيُّ صَاحِبَهُ : وَكَمْ تُقَدَّر الزَّكَاةُ ؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم. (٢) سورة التوبة الآية (١٠٣) . (٣) رواه الترمذى فى سننه .

أَجَابَهُ صَاحِبُهُ : زَكَاةُ المَالِ ٢,٥٪ فى العام، أى ٢٥ جُنَيْهًا عَنْ كُلِّ أَلْفٍ وَهَكَذَا.

أَجَابَ الغَنِىُّ : مَعْنَى هَذَا أَنَّنِى سَوْفَ أَدْفَعُ عَنْ كُلِّ مِلْيُونٍ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ جُنَيْهٍ، لاَ، هَذَا كَثِيرٌ جِدًّا .

وعَبَثًا حَاوَلَ الصَّدِيقُ إِقْنَاعَ صَدِيقِهِ بِعَدَمِ التَّأَخُّرِ عَنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَلَكِنَّهُ فَشِلَ.

وَبعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ وَقَعَ لِهَذَا الْغَنِىِّ الَّذِى لاَ يَدْفَعُ الزَّكَاةَ حَادِثَتَانِ مُتَوَالِيَتَانِ:

الأُولَى : كَانَتْ فِى الْمَالِ فَقَدْ سُرِقَ مِنْ سَيَّارَتِهِ حَقِيبَةٌ بِهَا مَا يَزِيدُ عَلَى مِائَتَىْ أَلْفِ جُنَيْهٍ أَوْ أَكْثَر .

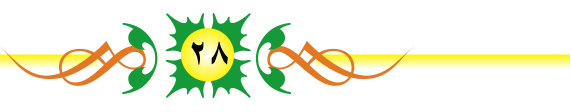
الثَّانِيَةُ : كَانَتْ فِى الصِّحَّةِ، فَقَدْ وَقَعَ لَهُ حَادِثٌ كَبِيرٌ اسْتَمَرَّ عِلاَجُهُ سَنَوات بَيْنَ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ وَتَرَكَتْهُ هَذِهِ الحَادِثَةُ بِعَاهَةٍ مُسْتَدِيمَةٍ، حَقًّا إِنَّ زَكَاةَ المَالِ تُطَهِّرُ وَتُزَكِّى . إِنَّ هَذَا الْغَنِىَّ يَتَمَنَّى أَنْ يُضَحِّىَ بِنِصْفِ أَمْوالِهِ لِيَعُودَ سَلِيمًا مُعَافى كَمَا كَانَ، أَمَا كَانَ الأَوْلَى أَنْ يَدْفَعَ رُبْعَ العُشْرِ مِنْ أَمْوالِهِ (قِيمَةَ الزَّكَاةِ) فَتَتَطَهَّرَ أَمْوَالُهُ وَيُبَارِكَ اللَّهُ لَهُ فِى صِحَّتِهِ وَمَالِهِ وَبَيْتِهِ وَأَوْلاَدِهِ ؟

الصَّـــــوْمُ

قال الله – تعالى –:



(١) سورة البقرة الآية (١٨٣) .



عِبَادَةٌ جِسْمِيَّةٌ رُوحِيَّةٌ تُحَقِّقُ التَّوَازُنَ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ الْجَسَدِ وَشَهَوَاتِهِ، فَتَحُدُّ مِنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ وتُرَوِّضُهَا، وَتُحَرِّكُ أَحَاسِيسَ الْحُبِّ والرَّحْمَةِ نَحْوَ الفُقَرَاءِ والمحتاجِينَ عِنْدَمَا يُحِسُّ الغَنِيُّ بِالجُوعِ، وَتُحَقِّقُ التَّوَازُنَ دَاخِلَ الإِنْسَانِ بما تَزْرَعُهُ فِيهِ مِنْ صَبْرٍ وَجَلَدٍ وَتَحَمُّلٍ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«قَالَ اللَّهُ – تَعَالَى – فى الحديث القدسى: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنا أَجْزِى به، والصِّيَامُ جُنَّة وإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ، والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإِذَا لَقِىَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»(١) .

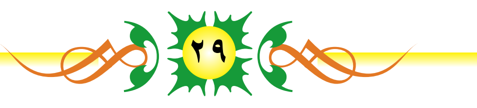
وَصَوْمُ رمضَانَ يُحَقِّقُ الوَحْدَةَ والائْتِلافَ، فالْمُسْلِمُونَ فى جميعِ أَنْحَاءِ الأرضِ يصومونَ هَذَا الشهرَ المحدَّدَ .

وصَوْمُ رمضانَ طَهارةٌ ونَظَافَةٌ للصَّائِمِينَ لأَنَّهُ ليسَ امتناعًا عَنِ الأكْلِ والشُّرْبِ فَقَط، بل هو تربيةٌ مُسْتَمِرَّةٌ وَصِيَانَةٌ للسانِ والجوارحِ، وتعاونٌ على البرِّ والإِحْسَانِ .

وَلِما لِلصَّومِ من فوائدَ اجتِمَاعيةٍ وإنسانيةٍ وصحيةٍ، ولِمَا يُحَقِّقُهُ من توازنٍ إنسانيٍّ وبيئىٍّ، مِنْ أَجلِ ذلِكَ فَقَدْ شَرَعَهُ اللهُ –سبحانه وتعالى– فِي جَميعِ الدياناتِ السابقةِ من أوَّلِ آدمَ عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ .

---

(١) رواه البخارى .



الحـــج

قال الله – تعالى –:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١)



عِبَادَةٌ جِسْمِيَّةٌ مَالِيَّةٌ، تُحقِّقُ التَّوَازُنَ رَغْمَ أَنَّهَا مَرَّةٌ فِى الْعُمْرِ، – عَلَى مَن اسْتَطَاع – فَالْمُسْلِمُ يَتْرُكُ الدُّنْيَا بِكُلِّ مَا فِيهَا لأَيَّامٍ مَعْدُودةٍ، يَتْرُكُ بَيْتَهُ وَأَهْلَهُ، يَتْرُكُ مَالَهُ وَجَاهَهُ.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقولُ :

«مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجعَ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(٢) .

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٧) .

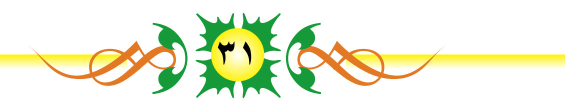
(٢) رواه البخارى ، والرفث : الكلام القبيح .

وَالْعِبَادَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ يَوْمِيٌّ كَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَأُسْبُوعِيّ كَصَلاةِ الجُمعَةِ، ومنها ما هُو سَنَوِيٌّ كَالصِّيامِ والزَّكاةِ، ومنهَا ما يقومُ بِهِ العَبْدُ مرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ كَالحَجِّ، والْيَومِيُّ مِنهُ ما يُؤدِّيهِ الْمُسْلِمُ نَهارًا كَصَلاةِ الصُّبْحِ والظُّهْرِ والعَصْرِ ومنهُ ما يُؤَدِّيهِ لَيلاً كالمغربِ والعِشَاءِ، تَوازُنٌ دَقِيقٌ يَربطُ المسلمَ بربِّهِ فى جَمِيعِ أَوْقَاتِ عُمْرِهِ فَيَنَظِّمُ مُعَامَلاَتِهِ مَعَ غيْرِهِ بِمَا يُرْضِي خَالِقَهُ – سبحانه وتعالى – .

(جـ) التوازن فى المعَامَلاتِ (الدينُ المعَامَلَةُ):

الإِنْسَانُ لاَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَعِيشَ بِمَعْزِلٍ عَنْ الْمُجْتَمَعِ فَهُوَ يَحْتَاجُ لِجُهُودِ غَيْرِهِ وَهُمْ مُحْتَاجُونَ لِجُهُودِهِ، وَإِذَا كُنَّا قَدْ تَحَدَّثْنَا عَن التَّوازُنِ الدَّقِيقِ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ عَلَى أَنَّهُ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ هَذَا الْكَوْنِ، فَلاَبُدَّ أَنْ نَتَحَدَّثَ عَنَ التَّوازُنِ فِي الْمُعَامَلاتِ .

أَحَلَّ الإِسْلاَمُ الْبَيْعَ لِيَتَبَادَلَ النَّاسُ مَصَالِحَهُمْ وَوَضَعَ لَهُ قَوَاعِدَ وَأُسُسًا تَضْمَنُ سَلامَتَهُ مِن الْغِشِّ والخِدَاعِ والظُّلْمِ وَحَرَّمَ الإِسْلامُ كُلَّ مَا فِيهِ ظُلْمٌ وَاسْتِغْلالٌ، فَحَرَّمَ الرِّبَا لأَنّهُ يُحْدِثُ خَلَلاً فِي التَّوازُنِ المالِيِّ لِلإِنْسَانِ لما فِيهِ مِن اسْتِغْلاَلٍ مِنْ جَانِبِ الأَغنِياءِ لِلْفُقَرَاءِ أو الْمُحْتَاجِينَ فَيَزْدَادُ الغَنِيُّ غِنًى وَيزْدَادُ الفَقِيرُ فَقْرًا. إن الأصلَ فى المعَامَلاَتِ الإِبَاحَةُ – مَا لَمْ يَرِد نَصٌّ يُحرِّمُه – وذَلِك تَيْسِيرًا عَلَى النَّاسِ لِكَثْرَةِ الْمُعَامَلاتِ وتَطَوُّرِها عَبْرَ الزَّمَن.



قال الله – تعالى –:

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[1]

وَالبَيْعُ الَّذِى أَحَلَّهُ الله –سُبْحَانَهُ وتَعالَى– هُوَ بَيْعُ كُلِّ مَا فِيهِ مَنْفَعَةٌ لِلنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ، أَمّا مَا فِيهِ ضَرَرٌ فَقَدْ حَرَّمَهُ الشَّرْعُ كَبَيْعِ الْخُمُورِ والمخدِّرَاتِ وَبَيْعِ السِّلاَحِ لِلْمُجْرِمِينَ وَالْخارِجِينَ على الْقَانُونِ والدِّين.

وَحرَّمَ الاحْتِكَارَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« الجَالبُ مَرْزوقٌ والمحتكِرُ ملْعُونٌ »[2] .

وَالْجَالِبُ مَنْ يَجْلِبُ السِّلَعَ لِيَبِيعَهَا لِلنَّاسِ وَيُلَبِّى مَطَالبَهُمْ بلاَ اسْتِغْلاَلٍ، أَمَّا الْمُحْتَكِرُ فَيمْنَعُ السِّلْعَةَ وَيَخْزِنُهَا حَتَّى يَزْداد ثَمَنُهَا وَيَشْتَدَّ طَلبُ النَّاسِ لَهَا فَيَبِيعُها بِسِعْرٍ كَبِيرٍ مُسْتَغِلاً حَاجَةَ النَّاسِ إِلَيْهَا .

وَحرَّمَ الْغِشَّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[3].

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: **«مَرَّ على صُبْرةٍ مِنْ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ : يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ مَا هَذَا؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ؟ ثُمَّ قَالَ: مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»**[4] .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٧٥).   (٢، ٣) رواه ابن ماجه والحاكم.
(٤) رواه الترمذى، معنى صبرة: كومة.



وَأَحَلَّ الإِسْلامُ الْقَرْضَ وَالرَّهْنَ والْمُزارعَةَ والْمُضَارَبَةَ وَالْكَفَالَةَ..إلخ، أَحَلَّ كُلَّ مَا فِيه تَعاوُنٌ عَلَى عِمارَةِ الأَرْضِ وَحِفْظِ التَّوازُنِ بِهَا .

عَقَبَاتٌ فى طَرِيقِ التَّوَازُن

وَقَدْ تُقَابِلُ الإِنْسَانَ أَثْنَاءَ قِيَامِهِ بِعِمَارَةِ الأَرْضِ بَعْضُ الْمُغْرِيَاتِ مِنْ مُتَعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيا.

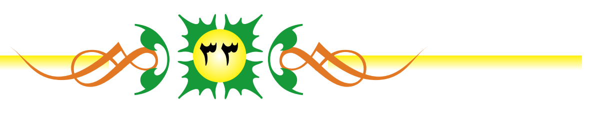
قال الله ـ تعالى ـ:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (١)

فحُبُّ الشَّهَوَاتِ مِن النِّسَاءِ عِنْدَمَا طَغَى عَلَى الإِنْسَانِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِمَا أَحَلَّهُ اللَّهُ – تعالى– لَهُ، أَحْدَثَ التَلَوُّثَ الْخُلقِيَّ والْبِيئِيَّ، وَلَعَلَّ انْتِشَارَ الأَمْرَاضِ الْخَطِيرَةِ فِي بَعْضِ الْمُجْتَمَعَاتِ الَّتِى أَباحَت الزِّنَا وَالشُّذُوذَ كالإِيدْزِ وَالزُّهْرِيِّ وَغَيْرِهِمَا أَصْدَقُ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ، فَمَنْهَجُ الله فِي الْكَوْنِ حَرَّمَ الزِّنَا وَحَذَّرَ الإِنْسَانَ مِنْه قال الله – تعالى – :



(١) سورة آل عمران الآية (١٤) ، المسومة: المعلمة، الحرث: الزرع .
(٢) سورة الإسراء الآية (٣٢) ، فاحشة : معصية مجاوزة للحد .

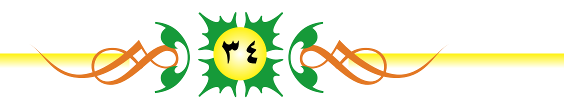


فَاللّٰه – سُبْحَانَهُ – يَنْهَانَا فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَن الزِّنَا وَعَنْ مُقَارَبَتِهِ وَمُخَالَطَةِ أَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ لأَنَّهُ عَمَلٌ شَدِيدُ الْقُبْحِ، وَطَرِيقٌ غَايَةٌ فِي السوءِ لأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى التَّلَوُّثِ الخلُقيِّ وَيَنْشُرُ الأَمْراضَ والْعِلَلَ، هَذا فِي الدُّنْيا، أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَهُوَ يُوصِّلُ صَاحِبَهُ إِلَى النَّارِ .

وحُبُّ الشَّهوَاتِ من البَنِينَ عِنْدَمَا زَادَ عَنْ حَدِّهِ فِي بَعْضِ الْبِلاَدِ أَحْدَثَ خَلَلاً فِي التَّوازُنِ الْبِيئِيِّ فِيها، فَعَمَّهَا الْفَقْرُ وَالْجُوعُ وَغَرِقَتْ فِي الدُّيونِ وَعَجزَتْ عَنْ تَوْفِيرِ أَبْسَطِ مُتَطَلَّبَاتِ المعِيشَةِ لأَبْنَائِهَا، كَمَا تَسَبَّبَ هَذا الْخَلَلُ الْبِيئِيُّ فِي تَلَوُّثِ الْبِيئَةِ تَلَوُّثًا كَبِيرًا، فَالشَّوارِعُ مُزْدَحِمَةٌ والْمَسَاكِنُ مُكدَّسَةٌ وَالْمِيَاهُ لاتَكْفِي لِلشُّرْبِ فَمَا بَالُنا بِالغسْلِ والنَّظَافَةِ، تَلَوَّثَ الْماءُ وَتَلوَّثَ الهَوَاءُ والغِذَاءُ ...

كَمَا تَسَبَّبَ هَذَا الزِّحَامُ الرَّهِيبُ وَالصِّرَاعُ الْمَرِيرُ فِي الْبَحْثِ عَنْ أَسَاسِيَّاتِ الْحَيَاةِ إِلَى التَّلَوُّثِ الْخُلُقِيِّ لانْتِشَارِ حَوَادثِ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ وَالْقَتْلِ، وَحَلَّ الْفَسَادُ وَالْخَرَابُ بِتِلْكَ الْبِلادِ بِسَبَبِ خُرُوجِهَا عَنْ مَنْهَجِ اللهِ – تعالى – فِي الكَوْنِ، وَعَدَمِ مُحَافَظَتِهَا عَلَى التَّوازُنِ البِيئِيِّ بِهَا .

أما حُبُّ المَالِ والتَّكَالُبُ عَلَى جَمْعِهِ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمَشْرُوعَةِ وَغَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ فَقَدْ أَصَابَ التَّوَازُنَ البِيئِيَّ فِي مَقْتَلٍ، وَتَسَبَّبَ فِي تَلوُّثِ البِيئَةِ بَل البِيئاتِ فَأَثَرُهُ تَعدَّى أَصْحَابَهُ إِلى غَيْرِهِمْ، وَتَعَدَّى



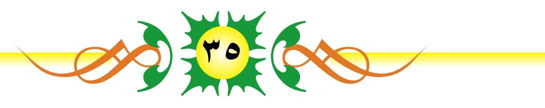
بيئاتِهِمْ إِلى بيئات أُخْرَى غَيْرِ بيئاتِهِمْ، وَكثُرَت الْمَصَانِعُ بَيْنَ الْكُتَلِ السُّكَّانيَّةِ فَلَوَّثَت البِيئَةَ الْقَرِيبَةَ وَالْبَعِيدَةَ ، وَقطَعَت الأَشْجَارَ بدُونِ تَقْنينٍ أَوْ نِظَامٍ فَحرَمَتْ الْمُجْتَمَعَات مِن الْمُرَشِّحَاتِ الطَّبِيعيَّةِ للْبيئَةِ، وَتوَسّعَ الإِنْسَانُ فِى الصَّيْدِ لا مِنْ أجْلِ غِـذائِهِ فَقط بَلْ كَنَوْعٍ مِنْ شِـدَّةِ الـرَّفَـاهِـيَـةِ بَيْـنَ الأَغْـنِيَـاءِ فَـقَلَّـتْ أَنْـوَاعٌ كَـثِيرَةٌ مِـنَ الـطُّيـورِ وَالْحَيَوَانَاتِ مِثْلُ الْغِزْلانِ والصُّقُورِ والنُّسُورِ، وَحَتَّى الْحَيَوانَاتِ المفْتَرِسَةِ الَّتى كَانَتْ لَها وَظِيفَةٌ فِى التَّوازُنِ الْبِيئِىِّ والأَمثلةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ نَكْتَفِى مِنْهَا بِمَا يَلِى:

مَـذْ بَحَـــةُ الغِـــــزْلاَنِ [1]

جَرَتْ فِى وَادِى شُعَيْت بِالْبَحْرِ الأَحْمَرِ مَذْبَحَةٌ لِلْغِزْلاَنِ الْمِصْرِيَّةِ قُتِلَ خِلالها ٣٠ «ثلاثُونَ رَأْسًا» مِنْ قِبَلِ جَمَاعَةٍ مِنْ ضِعَاف النُّفُوسِ أَثَارَت الرَّأْىَ العَام وَنَبَّهَتْ إِلى وُجُودِ وَعْىٍ بِيئِىٍّ لَدَى أَفْرَادِ الشَّعْبِ البُسَطَاءِ الَّذينَ اسْتَنْكَرُوا مِثْلَ هَذَا التَّصرُّفِ الإِجْرَامِىِّ البشعِ الَّذِى اسْتَهْدَفَ الثَّرَاءَ وَتَحْقِيقَ الرِّبْحِ عَلى حِسَابِ حَيَوانَاتٍ بَرِيئَةٍ تُشَكِّلُ ثَرْوَةً قَوْمِيَّةً لِمِصْرَ، وَهُمْ بِهَذا العَمَلِ يَتَسَبَّبُونَ بِجَهْلِهِمْ وَطمَعِهِمْ فِى إِحْدَاثِ خَلَلٍ كَبِيرٍ فِى التَّوازُنِ الْبِيئِىِّ .

---

(١) صحيفة الأهرام يوم ١٠ / ٧ / ١٩٩٨ .



وَلَمْ يَلْتَفِت الْجَمِيعُ إِلَى حِكْمَةِ اللَّهِ – تَعَالَى– عِنْدَمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ «نُوحًا» – عَلَيْهِ السَّلام – أَنْ يَحْمِلَ فِى سَفِينَتِهِ مِنْ كُلِّ كائِنٍ حَىٍّ زَوْجَيْنِ حَتَّى يَعُودَ التَّوازُنُ البِيئىُّ إِلَى الكُرَةِ الأَرْضِيَّةِ بَعْدَ الطُّوفَانِ الذِى أغْرَقَ الأَرْضَ بِكُلِّ ما عَلَيْهَا.

قَال اللهُ – تَعَالى– :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾(١)

حُبُّ الْمَالِ دَفَعَ أَصْحَابَ الْمَصَانعِ والْمَسْئُولِينَ عَنْهَا إِلَى إِلْقَاءِ مُخَلَّفَاتِ الْمَصَانِعِ فِى الأَنْهَارِ القَرِيبَةِ مِنْهَا لأَنّها أَرْخَصُ وَسِيلَةٍ للتَّخلُّصِ مِنْ هَذِه الْمُخَلَّفَاتِ فَلوَّثُوا الماءَ، وَدَفعَهُمْ إِلَى عَدَمِ تَرْكِيبِ مُرَشِّحَاتٍ فِى مَدَاخِنِ مَصَانِعِهِمْ توْفِيرًا للنَّفَقَاتِ، فَلوَّثُوا الْهوَاءَ.

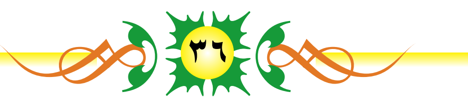
وَلَنْ نَتحدَّثَ عَنْ تُجَّارِ السُّمُومِ وَالْمُحرَّمَاتِ فَأثَرُهُمْ فِى تَلْوِيثِ الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ والأبْدَانِ وَاضِحٌ جلىٌّ للْعِيَانِ، وَلَنْ نُطِيلَ فِى هَذَا الْمَجالِ لأَنَّنا سَنَتَحَدَّثُ عَنْهُ بِالتَّفْصِيلِ فِى الْبَابِ الثَّالِثِ وَلَكِنَّنا سَنُذَكِّرُ الْجَمِيعَ بِقَوْلِ اللهِ – تعالى – :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾(٢)

---

(١) سورة هود الآية (٤٠) ، التنور : الفرن الذى يخبز فيه .

(٢) سورة الأعراف الآية (٩٦) .





أَنْتَ أَيُّها الإِنْسَانُ خَلِيفَةٌ فِى الأَرْضِ، وَهَذِهِ الْخِلاَفَةُ تُوجِبُ عَلَيْكَ:

١ – الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْكَوْنِ مِنْ التَّلَفِ وَالْفَسادِ .

٢ – الْمُحَافَظَةَ عَلَى الْمِيزَانِ الإِلَهِىِّ لِلْكَوْن والبِيئَةِ .

٣ – عِمَارَةَ الأَرْضِ وإِصْلاحِهَا وَتَنْمِيَةَ مَوَارِدِهَا والبَحْثَ عَنْ كُنُوزِهَا وَأَسْرَارِها.

٤ – عَدَمَ الإِفْسَادِ فِى الأَرْضِ وَتبْدِيدِ نِعَمِ الله –سُبْحَانَه وَتَعَالَى– الَّتى أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ لأنَّ المُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ وَالْمُتْلِفِينَ لِمَوَارِدِهَا خارِجُون عَنْ طَاعةِ الله – تعالى – وَمُسْتَحِقُّونَ لِعَذَابِهِ .

٥ – الاعْتِدَالَ وَالتَّوسُّطَ فِى كُلِّ أُمُورِكَ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ .

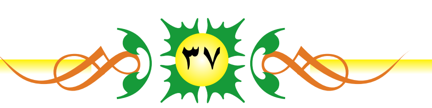
٦ – أَنْ تَعْرِفَ أَنّ الإِسْلامَ دِينُ الْوَسَطِيَّةِ والاعْتِدَالِ والتَّوازُنِ .

٧ – أَنْ تَنْصَحَ أَهْلَكَ وَزُمَلاءَكَ بِضَرُورَةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْبِيئَة.

قال الله – تعالى –:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1]

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠) .



تدريبات على الباب الأول

١ – مَا الْمَقْصُودُ بالتَّوَازُنِ الْبِيئِيِّ ؟

٢ – سَخَّرَ اللَّهُ نَوْعَيْنِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِخدْمَةِ الإِنْسَانِ. اذْكُرْ مِثالاً لِكُلِّ نَوْعٍ.

٣ – اخْتَرْ أَدَقَّ الإِجَابَاتِ مِمَّا بَيْنَ القَوْسَينِ فِيمَا يأْتِي :

(ا) الْخِلافَةُ فِي الأَرْضِ تَعْنِي :

(عِمَارَةَ الأَرْضِ – حُكْمَ الأَرْضِ – تَمَلُّكَ الأَرْضِ)

(ب) صِيَانَةُ الْكَوْنِ مِنْ الْفَسَادِ مُهِمَّةُ : (الأَفْرَادِ – الْحُكُومَاتِ – هُمَا مَعًا)

٤ – مَاذَا يَحْدُثُ :

لِلْبَشَرِيَّةِ لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ الْمُسَخَّرَةُ لِخدْمَتِهَا خَاضِعَةً لإِنْسَانٍ مَا أَوْ دَوْلَةٍ مَا ؟

٥ – قال الله – تعالى – : ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

(ا) مَا مَعْنَى (يَنْظُرُونَ) ؟

(ب) الآيَاتُ الْكَرِيمَةُ دَلِيلٌ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ – سُبْحَانَه – وَضِّحْ ذَلِكَ.

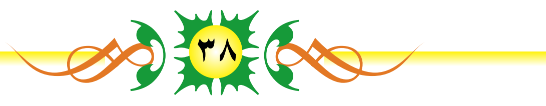
(جـ) مَا الَّذِى تُرْشِدُنَا إِلَيْهِ الآيَاتُ ؟

٦ – ضَعْ عَلامَةَ (✓) أَمَامَ الصَّوابِ وَعَلاَمَةَ (✗) أَمَامَ الْخطَأَ فِيمَا يأْتِي:

(ا) الأَجْهِزَةُ الدَّاخِلِيَّةُ لِلإِنْسَانِ يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ عَنِ الأَجْهِزَةِ الخَارِجِيَّةِ. ( )

(ب) خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ بِمِقْدَارٍ . ( )

(جـ) الزَّكَاةُ تَقِفُ فِي وَجْهِ الغِنَى والكَسْبِ الحَلاَلِ. ( )



٧ – صِلْ كُلَّ كَلِمَةٍ مِنْ الْمَجْمُوعَةِ (ا) بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ الْمجْمُوعَةِ (ب)

(ا)	(ب)
١– الزَّكَاةُ	١ – عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ تَحِدُّ مِنَ الشَّهَوَات.
٢ – الصَّلاَةُ	٢ – عِبَادَةٌ جِسْمِيَّةٌ مَالِيَّةٌ فِي الْعُمْرِ مرَّةً.
٣ – الصَّوْمُ	٣ – عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ ورِيَاضَةٌ جَسَدِيَّةٌ.
	٤ – عِبَادَةٌ مَالِيَّةٌ تُطَهِّرُ نُفُوسَ الأَغْنِيَاءِ

٨ – عَلِّلْ مَا يَأْتِى :

(ا) يَتحَقَّقُ التَّوَازُنُ فِى أَعْظَمِ صُوَرِهِ فِى جِسْمِ الإِنْسَانِ .

(ب) الْعِبَادَةُ لَيْسَتْ قَاصِرَةً عَلَى أَدَاءِ الْمَناسِكِ الْمَعْرُوفَةِ .

٩ – قَالَ سَلْمَانُ لأَبِى الدَّرْدَاءِ – رضى اللَّه عنهما –: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ» فَأَتى النَّبِىَّ ﷺ فَذكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فقالَ النَّبِىُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».

الحَدِيثُ الشريفُ يَرْسُمُ لَنَا صُورَةً مِنْ صُوَرِ التَّوَازُنِ الرَّائِعِ. وَضِّحْ ذَلِكَ.

١٠ – امْلأْ الفَرَاغاتِ فِيمَا يَأْتِى :

(ا) عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ..... فِى التَّعَرُّفِ عَلَى ..... الْكَوْنِ و .....

(ب) بَدَأَت الْمُشْكِلاَتُ الْبِيئِيَّةُ تَظْهَرُ وَاضِحَةً وَتُهَدِّدُ الإِنْسانَ نَتِيجَةً لـ .....

(جـ) يَسْتَخْدِمُ الإِنْسَانُ طَاقَتَهُ الْعَضَلِيَّةَ فِى ...... و ....

١١ – صِلْ كُلَّ تَرْكِيبٍ فِى (ا) بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنْ (ب):

(ا)	(ب)
١ – مِن التَّلَوُّثِ الخُلُقِىِّ	١ – عَدَمُ تَلْوِيثِ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ.
٢ – مِن التَّلَوُّثِ الْبِيئِىِّ	٢ – إِبَاحَةُ الْفَوَاحِشِ وَالْمُحَرَّمَات.
٣ – مِن الالْتِزَامِ بِمَنْهَجِ الدِّينِ	٣ – قَطْعُ الأَشْجَارِ بِدُونِ نِظَامٍ.
	٤ – قَتْلُ جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ .



الباب الثانى

مِن أُسُسِ التَّوَازُنِ الْبِيئِى فِى الإِسْلامِ

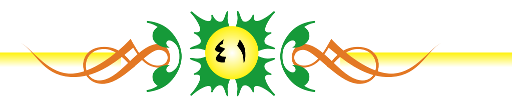


مُقَـــــدمَة:

الأُسُسُ الَّتِى تُحَقِّقُ التَّوَازُنَ الْبِيئِىَّ فِى الإِسْلامِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا:

تَرْشِيدُ الاسْتِهْلاَكِ، شُيُوعُ الحُبِّ والتَّعَاوُنِ بَينَ النَّاسِ، السَّمَاحَةُ والتَّوَسُّطُ فِى الأُمُورِ، الْعَمَلُ وَزِيَادَةُ الإِنْتَاجِ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ، المحَافَظَةُ عَلَى المَالِ الخَاصِّ والمَالِ العَامِّ وَعَلَى الْبِيئَةِ.

وَلَكِنَّنَا سَنَتَنَاوَلُ بَعْضَ الأُمُورِ الَّتِى نَرَاهَا تُشَكِّلُ التَّوَازُنَ فِى الْعَصْرِ الحَالِىِّ وَتَشْغَلُ بَالَ الْكَثِيرِينَ، وَمَطْلُوبٌ مِنَّا جَمِيعًا أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهَا بِعَقْلٍ سَلِيمٍ بَعِيدٍ عَنِ الأَهْوَاءِ، وَبِفَهْمٍ وَاعٍ لأُصُولِ الدِّينِ الإِسْلاَمِىِّ الحَقِيقِيَّةِ بِلاَ تَعَصُّبٍ لِرَأْىٍ أَو مُصَادَرَةِ فِكْرٍ عَلَى أَن يَكُونَ هَدَفُنَا الصَّالِحَ الْعَامَّ الَّذِى نَزَلَتْ كُلُّ الأَدْيَانِ مِن أَجْلِهِ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ المِيزَانُ هُوَ تَغْلِيب مَا فِيهِ فَائِدَةٌ للصَّالِحِ الْعَامِّ عَلَى الصَّالِحِ الخَاصِّ؛ لأَنَّ الأَوَّلَ يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى الثَّانِى لَو تَأَمَّلْنَاهُ بِعُقُولٍ مَفْتُوحَةٍ وَاعِيَةٍ، وَمِن هَذِهِ الأُمُورِ الَّتِى نَوَّهْنَا عَنْهَا:



(أ) تَـنْظِيمُ الأُسْـرَةِ:

مِنْ أَهَمِّ الأُمُورِ الَّتِى تُحَافِظُ عَلَى التَّوَازُنِ الْبِيئِىِّ فِى الْكَوْنِ «تَنْظِيمُ الأُسْرَةِ».

وَتَنْظِيمُ الأُسْرَةِ هُوَ تَنْظِيمٌ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِىِّ أَفْضَلِ مَخْلُوقَاتِ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِى هَذَا الْكَوْنِ الَّذِى يَعِجُّ بِبَلايِينِ المخْلُوقَاتِ .

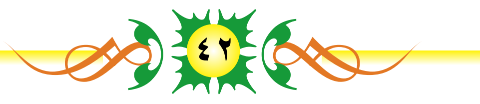
قال الله – تعالى –:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1]



تَنْظِيمُ الأُسْرَةِ سَعَادَةٌ لِلْجَمِيعِ.

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠) .



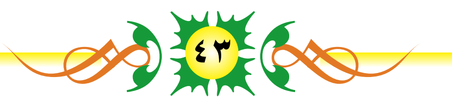
وَكَلِمَةُ التَّنْظِيمِ تَعْنِى النِّظَامَ والدِّقَّةَ والإِتْقَانَ، وَتَنْظِيم أَىِّ أَمْرٍ مِن الأُمُورِ يَزِينُهُ وَلاَ يَعِيبُهُ، بَل المَعِيبُ هُوَ عَدَمُ التَّنْظِيمِ، وَلِذَا يُقَالُ : هَذِهِ أُمُورٌ عِظَامٌ لَوْ كَانَ لَهَا نظَامٌ، أَىْ أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ لَو كَانَتْ مُنَظَّمَةً لأَصْبَحَتْ عَظِيمَةً، وَالأَمْثِلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، فَكُلُّ النَّاسِ مُعْجَبٌ بِالنِّظَامِ المُتْقَنِ لِمَجْمُوعَاتِ النَّحْلِ، وَتَنْظِيمَاتِ النَّمْلِ، وَأَسْرَابِ الحَمَامِ الَّتِى تَطِيرُ فِى تَنْظِيمَاتٍ رَائِعَةٍ، فَسُبْحَانَ مَنْ عَلَّمَهَا النِّظَامَ وَأَلْهَمَهَا التَّنْظِيمَ هِىَ وَغَيْرهَا مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَ مَا لاَ يَعْقِلُ مِن المَخْلُوقَات، فَمَا بَالُنَا بِالإِنْسَانِ الَّذِى مَيَّزَهُ اللهُ – تَعَالَى – بِالْعَقْلِ وَجَعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِى الأَرْضِ عَلَى كُلِّ الخَلاَئِق؟ فالمَطْلُوبُ مِن الإِنْسَانِ أَنْ يُنَظِّمَ كُلَّ أُمُورِهِ المَالِيَّةِ وَالصِّحِّيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ حَيَاتُهُ وَتَتَطَوَّرَ وَتَرْتَقِى إِلَى الأَفْضَلِ .

الإِسْـــلاَمُ نِظَـــامٌ وَتَنْظِيـــــمٌ

بِنَظْرَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى تَعَالِيمِ الإِسْلاَمِ وَأَرْكَانِهِ وَأَحْكَامِهِ نَجِدُ أَنَّ النِّظَامَ هُوَ الجَانِبُ المُشْتَرَكُ فِيهَا جَمِيعًا .

فَالصَّلاَةُ نِظَامٌ فِى أَرْكَانِهَا وَأَعْمَالِهَا بَدْءًا مِن الْوُضُوءِ وَمُرُورًا بِالْوُقُوفِ أَمَامَ المَوْلَى – عَزَّ وَجَلَّ – وَانْتِهَاءً بِالتَّسْلِيمِ كَمَا أَنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ فِى صَلاَةِ الجَمَاعَةِ مِنْ تَمَامِ الصَّلاَةِ.



شَهَادَةٌ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ :

وَقَفَ بَعْضُ السَّائِحِينَ مِن جِنْسِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي جَانِبٍ مِن الجَامِعِ الأَزْهَرِ الَّذِي كَانُوا فِي زِيَارَتِهِ، وَقَدْ وَقَفَ الـمُصَلُّونَ لأَدَاءِ صَلاَةِ الظُّهْرِ، وَظَلُّوا يَنْظُرُونَ مَبْهُورِينَ مِنْ أَدَاءِ الـمُسْلِمِينَ لِلصَّلاَةِ، وَبَعْدَ أَدَائِهَا، نَطَقَ أَحَدُهُمْ بِعِبَارَةٍ : «إِنَّهُ شَيْءٌ رَائِعٌ» فَسَأَلَهُ أَحَدُ الطُّلاَّبِ الحَاضِرِينَ وَكَانَ يُتْقِنُ اللُّغَةَ الإِنْجِلِيزِيَّةَ الَّتِي تَحَدَّثَ بِهَا السَّائِحُ: مَا هَذَا الشَّيْءُ الرَّائِعُ ؟

أَجَابَ السَّائِحُ: هَذَا النِّظَامُ الرَّائِعُ، فَكُلُّكُمْ قَد وَقَفْتُمْ وَقْفَةً كُلهَا خُشُوعٌ خَلْفَ القَائِدِ «الإِمَام» وَتَقُومُونَ بِأَدَاءِ مَا يُؤَدِّيهِ بِنِظَامٍ، لَوْ كَانَتْ كُلُّ أَعْمَالِكُمْ بِهَذَا النِّظَامِ لَتَوَلَّيْتُمْ قِيَادَةَ الْعَالَمِ كُلِّهِ.

وَمَا يُقَالُ عَنِ الصَّلاَةِ يُقَالُ عَنِ الصَّوْمِ، فَجَمِيعُ المُسْلِمِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فِي وَقْتٍ مُحَدَّدٍ وَيَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَنْ يَمْنَعُهُمْ أَوْ يَأْمُرُهُمْ إِلاَّ الالْتِزَامُ بِتَعَالِيمِ الإِسْلاَمِ وَتَنْظِيمِ الإِسْلاَمِ .

وَالزَّكَاةُ تَنْظِيمٌ مَالِيٌّ يُحَقِّقُ التَّوَازُنَ، وَالْحَجُّ نِظَامٌ وَالمعَامَلاَتُ الإِسْلاَمِيَّةُ كُلُّهَا تَدْعُو إِلَى التَّنظِيمِ وَالالتِزَام .



أَخْطَاءٌ فِى فَهْمِ المقْصُودِ بِتَنْظِيمِ الأُسْرَةِ

مِن الأَخْطَاءِ الَّتِى يَقَعُ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَّا هِىَ أَنَّنَا نَسْتَعْمِلُ عِبَارَةَ تَنْظِيمِ الأُسْرَةِ بِالْمَعْنَى الـمُسَاوِى تَمَامًا لِتَنْظِيمِ النَّسْلِ أَو تَحْدِيدِهِ، وَهُوَ خَطَأٌ أَصْبَحَ شَائِعًا فِى حَيَاتِنَا، والصَّوَابُ أَنَّ عِبَارَةَ تَنْظِيمِ الأُسْرَةِ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ بِكَثِيرٍ مِن تَنْظِيمِ النَّسْلِ وَأَبْعَدُ كَثِيرًا مِن تَحْدِيدِ النَّسْلِ .

فَتَنْظِيـمُ الأُسْرَةِ يَشْمَلُ كُلَّ شُئُونِ الأُسْرَةِ اجْتِمَاعِيًّا واقْتِصَادِيًّا وَصِحِّيًّا وَثَقَافِيًّا... إلخ .

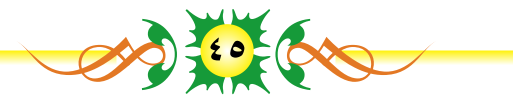
– تَحْسِينُ دَخْلِ الأُسْرَةِ وَالْمُوَازَنَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْجُهِ الإِنْفَاقِ ثُمَّ تَوْفِيرُ جُزْءٍ مِن الدَّخْلِ لاسْتِخْدَامِهِ فِى الأُمُورِ الطَّارِئَةِ هُوَ تَنْظِيمٌ لِلأُسْرَةِ، قَالَ ـ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى ـ فِى سُورَةِ الإِسْرَاءِ :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[1]

– الرِّعَايَةُ الصِّحِّيَّةُ المسْتَمِرَّةُ لأَفْرَادِ الأُسْرَةِ وَالَّتِى أَسَاسُهَا التَّغْذِيَةُ السَّلِيمَةُ والتَّعَوُّدُ عَلَى مُمَارَسَةِ الرِّيَاضَةِ تَنْظِيمٌ لِلأُسْرَةِ .

---

(١) سورة الإسراء الآية (٢٩) ، مغلولة: ممسكة لا تنفق.



عَنِ المِقْدَام بْنِ مَعْـدِ يكَـرِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّـهُ قَـالَ : سَمِعْتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَقُولُ : « مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْـبَـهُ، فَإِنْ غَلَـبَـت الآدَمِيَّ نَفْـسُـهُ فَثُلُـثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[١] .

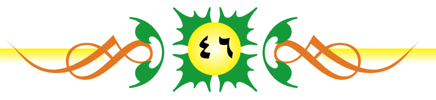
- تَثْقِيفُ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ وَتَعْلِيمُهُم الْعُلُومَ النَّافِعَةَ، وَنَقْلُ خِبْرَاتِ الكِبَارِ إِلَى الصِّغَارِ تَنْظِيمٌ لِلأُسْرَةِ، وَلَعَلَّنَا جَمِيعًا نَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ الْكَرِيمِ قوله - سبحانه وتعالى -:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾[٢]

وَعَنْ عُثْمَانَ بْن عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٣] . وعَن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ»[٤] .

عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ :

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) سورة العلق الآيات (١ - ٥) .
(٣) رواه البخاري .
(٤) رواه أبو داود .



«ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِى أُصَلِّى وَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[1] .

– مُرَاعَاةُ الْعلاَقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالالْتِزَامُ بِالآدَابِ وَتَعْوِيدُ الأَبْنَاءِ مُمَارَسَةَ حُقُوقِهِمْ وَالالْتِزَامَ بِوَاجِبَاتِهِمْ، هُوَ أَيْضًا تَنْظِيمٌ لِلأُسْرَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»**[2] .

أَمَّا تَنْظِيمُ النَّسْلِ فَهُوَ جُزْءٌ مِنْ تَنْظِيمِ الأُسْرَةِ وَلَيْسَ مُسَاوِيًا لَهُ .

الْخَطَأُ الثَّانِى خَطَأٌ يَقَعُ فِيهِ الْكَثِيرُ مِن النَّاسِ وَخُصُوصًا مَنْ كَتَبُوا أَوْ تَحَدَّثُوا فِى هَذَا الْمَجَالِ وَهُوَ أَنَّهُمْ يُحَدِّدُونَ مَفْهُومَ تَنْظِيمِ النَّسْلِ عَلَى أَنَّهُ تَقْلِيلُ عَدَدِ الْمَوَالِيدِ وَالْحَدُّ مِنْهُ، وَالصَّوَابُ أَنَّ هَذَا الْمَفْهُومَ يَشْمَلُ أَمْرَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ هُمَا :

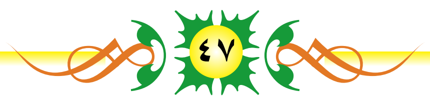


أَوَّلاً:

الرَّغْبَةُ فِى تَقْلِيلِ عَدَدِ الْمَوَالِيدِ وَالْحَدِّ مِنْهُ فِى بَعْضِ الْمَنَاطِقِ أَوالْبُلْدَانِ الَّتِى بِهَا زِيَادَةٌ عَدَدِيَّةٌ تَفُوقُ دَخْلَهَا مِن الزِّرَاعَةِ وَالصِّنَاعَةِ وَوَسَائِلِ الإِنْتَاجِ، مِثْل: الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَبَعْضِ الْبِلاَدِ الإِفْرِيقِيَّةِ وَالآسيوِيَّةِ.

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى.





ثانيًا:

الْحَثُّ عَلَى زِيَادَةِ الْمَوَالِيدِ فِى بَعْضِ الْمَنَاطِقِ أَو الْبِلَادِ الَّتِى بِهَا نَقْصٌ فِى الأَعْدَادِ الْبَشَرِيَّةِ مِمَّا يُؤَثِّرُ فِيهَا سَلْبًا عَلَى التَّنْمِيَةِ وَوَسَائِلِ الإِنْتَاجِ كَمَا فِى بَعْضِ دُوَلِ أُورُوبَّا مِثْلُ: أَلمانِيَا وَالنِّمْسَا وَالسِّويدِ وَالنَّرْوِيجِ وَغَيْرِهَا، وَفِى قَارَّةِ أَسْتُرَالْيَا الَّتِى تُشَجِّعُ عَلَى الإِنْجَابِ أو الْهِجْرَةِ إِلَيْهَا لِسَدِّ احْتِيَاجَاتِهَا فِى دَفْعِ عَجَلَةِ الإِنْتاجِ.

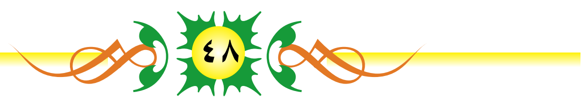
فَالتَّنْظِيمُ يَشْمَلُ الأَمْرَيْنِ الْمُتَضَادَّيْنِ؛ التَّقْلِيلَ أَو الزِّيَادَةَ حَسَبَ مُتَطَلَّبَاتِ الْمُجْتَمَعِ الْمُنَظَّمِ.

بِهَذَا نَكُونُ قَدْ وَصَلْنَا إِلَى أَنَّ التَّنْظِيمَ فِى أَىِّ أَمْرٍ مِن الأُمُورِ مَزِيَّةٌ وَلَيْسَ عَيْبًا، وَلَعَلَّ أَكْبَرَ مِثَالٍ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّنْظِيمِ فِى حَيَاتِنَا هُوَ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِى الْكَوْنِ مِنْ حَوْلِنَا لِنَرَى أَعْظَمَ تَنْظِيمٍ وَتَنْسِيقٍ فِى خَلْقِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْبِحَارِ وَالأَنْهَارِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَسُبْحَانَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذِى قَالَ فِى كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:



---

(١) سورة الملك الآية (٣).



تَنْظِيمُ النَّسْلِ

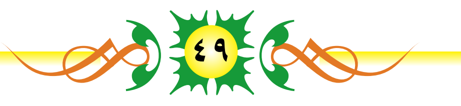
المعنَى المقْصُودُ، والهَدَفُ المطْلُوبُ منْ تنْظِيمِ النَّسْلِ هُوَ المحافَظَةُ عَلَى التَّوازُنِ دَاخِلَ الأُسْرَةِ والمجتَمَعِ بالصُّورَةِ الَّتِى تُتِيحُ للأفْرادِ حَيَاةً سَعِيدَةً بعِيدَةً عَن الفَقْرِ والمرَضِ والجهْلِ والتخَلُّفِ، حَيَاةٌ كلُّهَا عزَّةٌ ورَخَاءٌ وقُوةٌ وغِنًى.

عَنْ أبِى هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الْمُؤْمِنُ القَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلا تَقُلْ لَوْ أنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وكذا وَلكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(١).

وعِنْدَمَا نتحدَّثُ عَنْ تَنْظِيمِ النَّسْلِ فِى بلدٍ مثْلِ مصرَ فإنَّنَا نعْنِى الحدَّ مِن الزيادَةِ العَشْوائِيَّةِ الرهِيبَةِ التِى تُوشِكُ أنْ تَقْضِى عَلى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ وتجرنا إِلَى مَهَاوِى الفَقْرِ وَالتَّخَلفِ وَالْعَوزِ والاحْتِياجِ إِلَى الآخَرِينَ، وهَذَا الحَدُّ مِن التكدُّسِ السُّكَّانِىّ والزيادَةِ البَغِيضَةِ يَجِدُ للأَسَفِ الشَّدِيدِ مَنْ يَقِفُ فِى وَجْهِه وَيُحَارِبُهُ، بَلْ ويُنَادِى بِعَدَمِ التنظِيمِ وإطلاَقِ النَّسْلِ وَالإِكْثَارِ مِنْهُ بِدَعْوى أَنَّ الإسْلاَمَ يُحرِّمُ تنْظِيمَ النّسْلِ ويمنَعُه وَهِىَ دَعْوَى بَاطلةٌ لاَ مَحَالةَ.

---

(١) رواه مسلم.



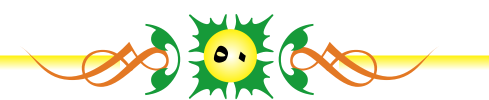
إنهُمْ يُسِيئُونَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَيضُرُّونَ بالمسْلِمِين؛ لأَنَّهُم لَمْ يفْهَمُوا الإِسْلاَمَ فَهْمًا صَحِيحًا، بلْ وقَفُوا أمامَ بعْضِ النُّصُوصِ القُرآنيةِ وَالأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ مَوْقِفًا جَامِدًا لاَ مُرُونةَ فِيه ولاَ فَهْمَ لِرُوح الإِسْلاَمِ وَأَهْدَافِهِ.

الإِسْلاَمُ لَمْ يُحَرِّم التنظِيمَ كَمَا يَدَّعُونَ، وَإِنَّما الإِسْلاَمُ هُوَ دِينُ النِّظَامِ وَالتنظِيمِ، يَفْهَمُ ذَلِكَ مَنْ يَفْهَمُ الإِسْلاَمَ علَى حَقِيقَتِهِ وَجوْهَرِهِ لاَ مَنْ يَتَجَمَّدُ أمَامَ نُصُوصِه وَلاَيتَحَرَّك.

(ب) نظافة البيئةِ عِبادة

مُقدمة:

اهْتَمَّ الإِسْلاَمُ بالنَّظَافَةِ اهتِمَامًا كَبِيرًا، ولَنْ نُبَالِغ إذَا قُلْنَا إنَّ اهْتِمَامَ الإِسْلاَمِ بالنظافةِ لَمْ يظْهَر لَهُ مَثِيلٌ فِي كُلِّ الدِّيانَاتِ السَّابِقَةِ، فَقد اعْتَبَرَها مِنْ صَمِيمِ الإيمانِ، ولنْ يَكُونَ إيمانُ المسْلِمِ كَامِلاً إلا إِذَا تعَهَّدَ جِسْمَهُ وَمَلاَبِسَهُ وبيئَتَه وَمُجْتَمَعَهُ بالتَّنْظِيفِ المسْتَمِرِّ.



قَالَ اللَّه – تَعَالَى – :



وَقَالَ – عَزَّ مِنْ قَائِلٍ – :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [2]

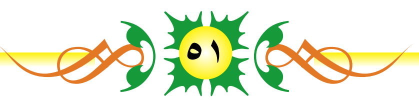
النظافَةُ فِى الإِسْلاَمِ تَشْمَلُ الجانِبَ الحِسّىَّ والروحىَّ، الجانِبُ الحِسِّىُّ يَتَمَثَّلُ فِى نَظَافَةِ الأجْسَامِ من الأَدْرَانِ وَذلِكَ عَنْ طَرِيقِ الاستحمام والوضُوءِ، وَنَظَافَةِ الملاَبسِ وَالأَمَاكِنِ.

وَالجَانِبُ الرُّوحِىُّ يكُونُ بِنَظَافَةِ القُلُوبِ من الشُّرُورِ وَالْغِلِّ والحِقْدِ وَالْحَسَدِ واليأسِ وَالتشَاؤُمِ والبُغْضِ، وَنَظافَةِ العقُولِ مِنَ الجهْلِ وَالأَفْكَارِ الهَدَّامَةِ والأقَاوِيلِ البَاطِلَةِ...إلخ.

فَالمسْلِمُ حِينَ يغْتَسِلُ فَهُوَ يُنَظِّفُ جِسْمَهُ كلَّهُ مِن الْعَرَقِ وَالأَوْسَاخِ الَّتِى تُؤَثِّرُ عَلَى صِحَّتِه فيُغْلِقُ بَابًا مِن أَبْوابِ المرضِ وَيعِيشُ قَوِيًّا سَعِيدًا، والمؤمنُ القَوِىُّ خَيْرٌ وأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المؤْمِنِ الضَّعِيفِ، كَمَا أنهُ يمنَعُ الرَّوائحَ الكَرِيهَةَ الَّتِى تُنفِّرُ الناسَ منه، وَهُوَ ينظفُ رُوحَهُ وَعَقْلَهُ أيْضًا مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيطانِ ومن الكِبْرِ وَالطغْيَانِ.

---

(١) سورة الأنفال الآية ١١.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٢.



أولاً : نَظَافَةُ الجِسْمِ

يَغْتَسِلُ المسْلِمُ عَلَى الأقَلّ مَرَّةً فِي الأُسْبُوعِ لِلْخُرُوجِ إِلَى صَلاَةِ الجُمُعَةِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلّ مُحْتَلِمٍ»(١).

وَعَن ابن عَباسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عنهما – قَالَ: قَال رَسُولُ اللَّه ﷺ:

«إِنَّ هَذَا يَومُ عِيدٍ جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ فَمَنْ جَاءَ إِلَى الجُمُعَةِ فلْيَغْتسِلْ وإِنْ كَانَ عِندهُ طِيبٌ فليمَسَّ مِنْهُ وَعلَيكُمْ بالسِّوَاكِ»(٢).

وَيغْتَسِلُ لِصَلاَةِ العِيدَيْنِ، وَهُنَاكَ أُمُورٌ تَفْرِضُ عَلَى المسْلِمِ الاغْتِسَالَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ.

وَيأْتِي الوضُوءُ الَّذِي يَتَكَرَّرُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، وَالوُضُوءُ لَيْسَ عَمَلاً رُوتِينِيًّا يؤدِّيهِ المسْلِمُ بحُكْمِ العَادَةِ، ولَكِنَّهُ نَظَافَةٌ جِسْمِيَّةٌ، وَطَهَارَةٌ رُوحِيَّةٌ، ولِيْسَ مُجَرَّدَ تنظِيفٍ لِظاهِرِ الجِلْدِ، وَلكِنَّهُ يَتَعَدَّى هَذا الظَّاهِرَ إِلَى أَعْمَاقِ النفْسِ حَتَّى يُؤَدِّي الأَثَرَ الرُّوحِيَّ مِنْهُ.

فَالمسْلِمُ حِينَ يَغْسِلُ يَدَيْهِ وَيُنَظِّفُهُمَا مِنَ الوَسَخِ الظَّاهِرِ، فَهُوَ ـ أَيْضًا ـ يُنَظِّفُهُمَا مما ارتكَبَتَا مِن آثَامٍ وشُرُورٍ، وكَذَلِكَ عِنْدَمَا يغسِلُ

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه ابن ماجه.



فَمَهُ ويَتَمَضْمَضُ... إلخ فأَعْمَالُ الوضُوءِ تطهر الروحَ وتنظِّفُ الجَسَدَ فِي وَقتٍ وَاحِدٍ، وَتَتَكَرَّرُ هَذِه الطَّهَارةُ الجسَديَّةُ الروحيَّةُ خمسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْم.. الوُضُوءُ يُطَهِّرُ وينظِّفُ الأعْضَاءَ والأطْرَافَ الَّتِي تَتَعَرَّضُ لِغُبَار الجَوِّ أَوْ لِلْعَرَقِ أَوْ غَيْرِه مِنْ إِفْرَازاتِ الجِسْمِ، حِرْصًا عَلَى سَلاَمتِه مِن الأَمْرَاضِ.

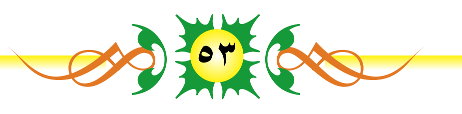
فَتَخْليلُ أَصَابعِ اليَدَيْنِ والقَدَمَينِ فِي الوضُوءِ يَمْنَع الأَمْرَاضَ الجلْديَّةَ كَالإكْزيمَا.. وغَيرِها.

«ذَهَبَ شَابٌّ إلى طَبيبِ الأَمْرَاضِ الجِلْدِيةِ وَهُوَ يَشْكُو مِن فطْرِيَّاتٍ تَظْهَرُ بيْنَ أَصَابعِ قَدَمَيْهِ، تُؤْلُمُهُ وتُفْرِزُ رَائِحةً كَرِيهةً تُضَايِقُهُ وَتُضَايِقُ مَنْ حَوْلَهُ.

فَسَأَلَهُ الطَّبيبُ: لماذَا لَا تُؤَدِّى الصَّلَواتِ المفْرُوضَةَ عَلَيْكَ؟

فَأَجَابَهُ الشَّابُّ: إِنَّنِى أُؤَدِّيهَا وَلكِنْ لَا أُواظِبُ عَلَيهَا وَغَالِبًا مَا أُصَلِّى فِي الصُّبْحِ ثُمَّ فِي العِشَاءِ فَأَنَا لَا أُؤَدِّيهَا فِي وَقْتِهَا، ثُمَّ مَا علاَقَةُ الصَّلاَةِ بالأمراضِ الجِلْديَّةِ الَّتِي بَيْنَ أَصَابعِ قَدَمَيَّ ؟!!

أَجَابَ الطَّبيبُ: لو تَوضَّأْتَ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَومٍ لِلصَّلاَةِ لَمَا أُصِبْتَ بِهَا لأَنَّكَ تَغْسِلُ قَدَمَيْكَ، وتنظِّفُ مَا بينَ الأَصَابعِ بالماءِ كَمَا حَثَّنَا الشَّرْعُ، وَالماءُ الطَّاهِرُ النَّقِيُّ يقْتُلُ الميكرُوبَاتِ وَيمنَعُ بَقَاءَهَا ويمنَعُ تَرَاكُمَ العَرَقِ مِمَّا يُسَبِّبُ الروائِحَ الكَرِيهَةَ».



قال الله – تعالى –:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ﴾(١)

وَعِنَايةُ الدِّين بتَطْهِيرِ الفَمِ، وَتْجلِيَةِ الأَسْنَانِ، وتَنْقِيَةِ مَا بَيْنَهُمَا عِنَايَةٌ كَبيرةٌ، بلْ وَلَمْ نَجِدْ لهَا نظِيرًا فِي وَصَايَا الأقْدَمِين، وَلا فِي الدِّيانَاتِ السَّابِقَةِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«تَسَوَّكُوا فإنَّ السِّواكَ مَطْهَرَةٌ للفمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ ما جَاءَنِي جِبْرِيلُ إلاَّ أَوْصَانى بالسِّواكِ حتى لَقَدْ خَشِيتُ أن يُفْرَضَ عليَّ وعَلَى أُمَّتِي وَلَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أن أَشُقَّ عَلَى أمَّتِي لَفَرَضْتُه لَهُم، وَإِنِّي لأَسْتَاكُ حَتى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَحفِي مَقَادِمَ فَمِي»(٢).

وَأَنَا أَعْرِفُ طَبِيبَ أَسْنَانٍ مَعْروفًا بتَقْواهُ يُعْطِي كُلَّ مَرِيضٍ يأْتِي لِلْعِلاَجِ فُرشَاةَ أَسْنَانٍ هَدِيةً أَوْ سِوَاكًا وَهُو يقُولُ لَه: إِنِ اسْتَخْدَمْتَ هَذِه أَوْ تِلْكَ كَمَا أمَرَكَ الإِسْلاَمُ فلَنْ تأتِينا إلاَّ لِلسُّؤَالِ عَلَينَا و السَّلاَمِ.

(١) سورة المائدة الآية (٦).

(٢) رواه ابن ماجه.



ثانياً : نَظَافَةُ المَلْبَسِ

وَكمَا اهتمَّ الإسْلامُ بنَظَافَةِ الجِسْمِ وَطَهارتِهِ فقَد اهْتَمَّ بِنَظَافَةِ المَلْبَسِ وَطَهارتِهِ وحُسْنِ المَنْظَرِ وَالمظْهرِ واعْتَبَرَ هَذَا مِنْ آدابِ الصَّلاَةِ، قَالَ اللهُ –سبحانه وتعالى–:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ (١)

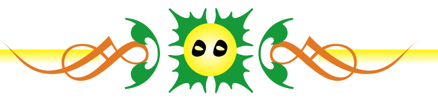
وَقَال – عزَّ وَجلَّ –:



وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعلّمُ المسلمِينَ أَنْ يَلْتزِمُوا ذَلِكَ فِي شُئُونِهِمْ العَامَّةِ والخَاصَّةِ حَتَّى يَظْهَرَ المسْلِمُ فِي سَمْتِهِ وَملْبَسِهِ وَهيئَتِهِ جَميلاً مَقْبُولاً، وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَمَا يُقْبِلُونَ عَلَى أَحَدٍ لِيتَعلَّمُوا مِنْه يَنْظُرونَ إِلَى سَمْتِهِ وَمظْهَرِه أولاً، فَإِنْ كَانَ نَظِيفَ المَلْبسِ مَقْبُولَ الهيْئَةِ استَمَعُوا إِلَيْه.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣١). (٢) سورة المدثر الآية (٤).





مَتى نَرى جَمِيعَ شَوَارِعِنَا مِثْلَ هذا الشارع ؟ نَظَافَة.... مِسَاحَة خَضْراء.



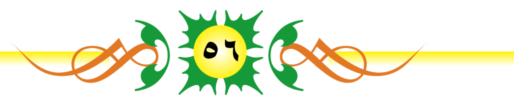
ثالثاً : نَظَافةُ المكَان

لَمْ يكْتَفِ الإِسْلاَمُ بِحَثِّ أبنَائِهِ عَلَى نَظَافَةِ الجِسْمِ والملْبَسِ فَقَط، بَل امْتَدَّ اهْتِمامُهُ بِتَطْهِيرِ وَتَجمِيلِ البُيُوتِ والطرقَاتِ وغَيْرِهَا حَتَّى لاَتكُونَ مَبَاءةً[1] لِلْحَشَرَاتِ، وَمصْدَرًا للأمراضِ، وَلَنْ يَتمَّ التطْهِيرُ وَالتَّجْمِيلُ إِلاَّ بِنَظَافَتِهَا وَتَخْلِيتِهَا مِن الْفَضَلاَتِ وَالْقمَامَاتِ، قَالَ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بالْيَهُودِ»**[2].

وَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِإِزَالَةِ الأَذَى عَن الطَّرِيقِ مِن أَحْجَارٍ وَأَشْوَاكٍ وَغَيْرِهَا، وَجَعَلَ هَذَا الْعَمَلَ شُعْبَةً مِن شُعَبِ الإِيمَانِ، وَاعْتَبَرَ هَذَا

---

(١) مباءة : سكنا ومنزلا . (٢) رواه الترمذى.



الْعَمَلَ الْبَسِيطَ الَّذِى يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ كُلُّ فَرْدٍ مِنَّا صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا صَدَقَةً، عَن أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[1].

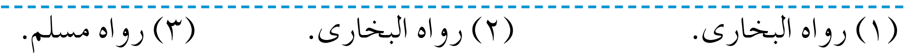
وَفِى حَدِيثٍ ثَالِثٍ:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ، فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ»[2].

وَفِى حَدِيثٍ رَابِعٍ:

«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُها «لاَ إِله إِلاَّ اللَّهُ »، وَأَدنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[3].

وَلَيْسَ مِنَ الإِسْلاَمِ مَا نَرَاهُ أَحْيَانًا مِن شَوَارِعَ وَأَحْيَاء وَأَمَاكِنَ تَتَجَمَّعُ فِيهَا القُمَامَةُ، والأَخْطَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا تَتَجَمَّعُ بِجِوَارِ بَعْضِ المَدَارِسِ وَالمسْتَشْفَيَاتِ وَدُورِ الْعِبَادَةِ.



(١) رواه البخارى.　(٢) رواه البخارى.　(٣) رواه مسلم.



رَابعًا: نظافة اللسَان وَالجوَارح

مَبَادِئُ الإِسْلاَمِ تُرَبِّى الْمُسْلِمَ عَلَى حُبِّ الخَيْرِ وَتَغْرِسُ فِيهِ من الفَضَائِل مَا يَجْعَلُه مَحْبُوبًا بَيْنَ النَّاسِ، وَتُحقِّقُ لَهُ التَّوَازُنَ مع الْغَيْرِ، فَهُوَ حَسبَ تَعَالِيمِ الإِسْلام حُلْوُ الحَدِيثِ عَفِيفٌ فِى قَولِهِ وَفِعْلِه، صَادِقُ النَّصِيحَةِ لِلْقَرِيبِ وَالبَعِيدِ، لِلْمُسْلِمِ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِ، لاَ يُؤْذِيهِمْ بِلِسَانِهِ أَوْ يَدِهِ.

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا – عَن النَّبِى ﷺ قَالَ: **«المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَن هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»**[١].

وَقَالَ ﷺ: **«إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»**[٢].

وَصَدَقَ اللَّهُ العَظِيمُ الْقَائِلُ فِى كِتَابِهِ الْكَرِيمِ:



---

(١) رواه البخارى. (٢) رواه البخارى.
(٣) سورة الأعراف الآية (١٩٩)



وَقَالَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ فِي صِفَاتِ عِبَادِ الرَّحْمَنِ:


﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[1]

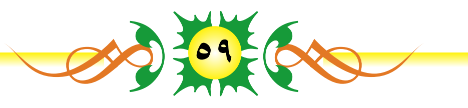
مِنْ نَظَافَةِ اللِّسَانِ عَدَمُ التَّعَرُّضِ لِلنِّسَاءِ والفَتَيَاتِ بِالْمُعَاكَسَاتِ أَوالسَّبِّ واللَّعْنِ، وقَدْ حَذَّرَ القُرْآنُ الكَرِيمُ مِنْ ذَلِكَ:

قال الله – تعالى –:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

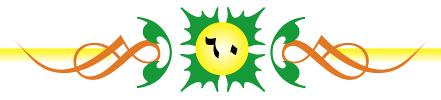
تَمْتَدُّ النَّظَافَةُ فِي المسْلِمِ إِلَى تَرْكِ القَبِيحِ مِن الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، فَهُوَ عَفِيفٌ عَن الكَذِبِ والغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ والنِّفَاقِ واللَّغْوِ والفُحْشِ وإفشَاءِ الأَسْرَارِ وشَهَادَة الزُّورِ، وهُو لاينْظُرُ إِلَى مُحَرَّمٍ، ولاَ يَسْرِقُ وَلاَ يَغُشُّ، وَلا يَقْبَلُ الرشْوَةَ والاخْتِلاَسَ... إلخ.

(١) سورة الفرقان الآية (٦٣).
(٢) سورة النور الآية (٢٣).





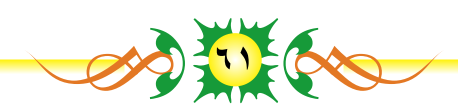
- نَظَافَةَ الْجِسْمِ وَالْمَلْبَسِ وَالْمَكَانِ عِبَادَةٌ، وَوِقَايَةٌ، وَصِحَّةٌ وَسَلاَمَةٌ.
- الْمُسَاهَمَةَ فِى تَنْقِيَةِ الْبِيئَةِ مِنَ الْقَاذُورَاتِ وَالْمُهْمَلاَتِ وَاجِبٌ دِينِىٌّ وَقَوْمِىٌّ وَاجْتِمَاعِىٌّ.
- النَّظَافَةَ مِنَ الإِيمَانِ، وَعُنْوَانُ الرُّقِىِّ وَالتَّحَضُّرِ.
- الْمُسْلِمَ إِنْسَانٌ نَظِيفٌ فِى مَلْبَسِهِ وَمَسْكَنِهِ وَشَارِعِهِ وَبَلَدِهِ.
- الْمُسْلِمَ إِنْسَانٌ نَظِيفٌ فِى سُلُوكِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ الآخَرِينَ.
- الْخُشُوعَ فِى الصَّلاَةِ وَأَدَاءَهَا تَامَّةً فِى وَقْتِهَا نَظَافَةٌ دَاخِلِيَّةٌ تُطَهِّرُ سَرِيرَتَكَ.
- الابْتِعَادَ عَنِ اللَّغْوِ فِى الْكَلاَمِ نَظَافَةٌ لِلْفِكْرِ وَالضَّمِيرِ وَاللِّسَانِ.
- الزَّكَاةَ نَظَافَةٌ لِلْمَالِ وَالنَّفْسِ لأَنَّهَا تُطَهِّرُ الإِنسَانَ مِنَ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ وَالْحَسَدِ.
- رِعَايَةَ الأَمَانَةِ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا نَظَافَةٌ فِى التَّعَامُلِ مَعَ النَّاسِ.



مناظر مؤذية ملعون من يفعلها :

قَالَ ﷺ: «مَنْ آذى المسْلِمِينَ فِي طَرِيقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِي.

- شَخْصٌ يَتَبولُ أَوْ يَتَبَرَّزُ فِي الأَماكِنِ العَامَّةِ (تَحْتَ الْكَبَارِي، وَرَاءَ الجُدْرَانِ).
- تَكَدُّسُ القُمَامَاتِ حَوْلَ الأَمَاكِنِ العَامَّةِ (مَدَارِسَ، مُسْتَشْفَيَاتٍ، مَسَاجِدَ..إلخ).
- إِلْقَاءُ المخَلَّفَاتِ فِي النَّهرِ، أَوْ فِي البَحْرِ.
- اللُّحُومُ المبْعَثَرَةُ حَوْلَ المجَازِرِ وَالدَّمُ والرَّوائِحُ الكَرِيهَةُ التِي تَنْبَعِثُ مِنْهَا.
- بَائِعُو الخُضَرِ وَالْفَاكِهَةِ فَوْقَ عَرَبَاتٍ مَكْشُوفَةٍ وَفَوْقَهَا آلافٌ مِن الذُّبَابِ، وَمَا تُلْقِيهِ فِي الطَّرِيقِ مِمَّا فَسَدَ مِنْ بَضَائِعِهِمْ.
- وُقُوفُ بَعْضِ الشَّبَابِ فِي الطُّرُقَاتِ لِمُعَاكَسَةِ الْفَتَيَاتِ وَإِيذَائِهِنَّ بِالْقَوْلِ أَوْ بِالْفِعْلِ.



(جـ) المحَافظَةُ علَى المَاء :

مِن التَّوجِيهَات الإسْلاَمية فِى المُحَافظَةِ عَلَى البِيئَةِ وَتحقِيق التَّوازُنِ البِيئِى لِلمِيزَانِ الإلهِى لِلْكَوْنِ هُوَ: الْمُحَافَظَةُ عَلَى المَاءِ.

قال الله – تعالى –:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

وَالمحَافَظَةُ عَلَى المَاءِ لَهَا شِقَّان:

الشِّقُّ الأَوَّلُ: عَدَمُ تَلْوِيث المِيَاهِ.

وَالشِّقُّ الثَّانِي: تَرْشِيدُ اسْتِهْلاكِهِ وَعَدَمُ تَبْدِيدِهِ فِيمَا لايُفِيدُ.

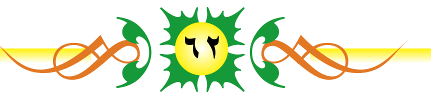
وَقَبْلَ أَنْ نَتَحدَّثَ عَن المحَافَظَةِ عَلَى المَاءِ لاَبُدَّ أَنْ نُلْقِى الضَّوْءَ عَلَى بَعْضِ الأُمُورِ المهِمَّةِ.

أَنْزَلَ اللَّهُ المَاءَ مِن السَّمَاءِ كَشَأنِ كُلِّ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ طَاهِرًا نَظِيفًا نَقِيًّا يَحْمِلُ الخَيْرَ والصِّحَّةَ والْهَنَاءَ لِلأَرْضِ.

قال الله– تعالى –:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴾ (٢)

(١) سورة الأنبياء الآية (٣٠). (٢) سورة إبراهيم الآية (٣٢).



واللَّهُ ينزلُ المَاءَ بِقَدَرٍ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا، وَدَرْسًا لخَلْقِهِ مِن البَشَرِ بِأَنْ يُحَافِظُوا عَلَى المِيزَانِ الإلَهِى لِكُلِّ مَا خَلَقَ - سُبْحَانَه وَتَعالى - وَمِنْهَا المَاءُ:

قَالَ الله - تَعَالَى - :

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [1]



المحَافَظَةُ عَلَى نَظَافَةِ النَّهْرِ وَاجِبٌ دِينِىٌّ وَقَوْمِىٌّ.

قَالَ الله - تَعَالَى- :

﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ [2]

---

(١) سورة المؤمنون الآية (١٨). (٢) سورة الزخرف الآية (١١).

قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: هُنَاكَ أَمَاكِنُ بِهَا مِيَاهٌ تَحْتَ الأَرْضِ، وَالإِنْسَانُ يَسْتَخْرِجُهَا لِلاسْتِخْدَامِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ:

قَالَ اللهُ – تَعَالَى– :

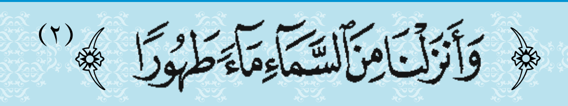
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ﴾(١)

فَالمَاءُ الَّذِى فِى بَاطِنِ الأَرْضِ أَنْزَلَهُ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– مِنَ السَّمَاءِ وَسَخَّرَ لَهُ خَزَّانَاتٍ أَرْضِيَّةً تَحفَظُهُ حَتَّى يُمْكِنَ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ وَقْتَ الحَاجَةِ، وَهَذَا دَرْسٌ آخَرُ فِى تَرْشِيدِ اسْتِهْلاكِ المِيَاهِ.

نَنْتَقِلُ الآنَ إِلَى الدُّروسِ الإِسْلامِيَّةِ فِى المحَافَظَةِ عَلَى نَظَافَةِ المَاءِ وَطَهَارَتِهِ.

الأَصْلُ فِى المَاءِ الَّذِى خَلَقَهُ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الطَّهَارَةُ وَالنَّظَافَةُ،

قَالَ اللهُ – تَعَالَى – :


﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾(٢)

---

(١) سورة الزمر: (٢١)، سلكه: أدخله، ينابيع: عيونا .

(٢) سورة الفرقان الآية (٤٨).



والمحَافَظَةُ عَلَى الـمَاءِ طَاهِرًا نَظِيفًا تَكْلِيفٌ مِنَ اللَّهِ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ لِلإِنْسَانِ عِنْدَمَا جعَلَهُ خَلِيفَتَهُ فِي الأَرْضِ، وَلِذَا يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ:

«اتَّقُوا المَلاعِنَ الثَّلاثَ: البُرَازَ فِي المَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ»(١).

وَالمقْصُودُ بِالْمَوَارِدِ مَوَارِدُ الـمَاءِ كَالأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ وَالآبَارِ...إلخ.

وَمَرَّةً ثَانِيَةً يُحَذِّرُنَا الرَّسُولُ الـمُعَلِّمُ مِن التَّبَوُّلِ فِي الـمَاءِ سَوَاء أَكَانَ رَاكِداً أم جَارِياً فَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبِي ﷺ: **«أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ»**(٢).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ جَابِرٍ أَيضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: **«نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي المَاءِ الجَارِي»**(٣).

مِنْ هَذَا نَسْتَخْلِصُ أَنَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، أَنْ يَتَّقِي اللَّهَ وَأَنْ يُنَفِّذَ مَا أَمَرَ بِهِ – سُبْحَانَهُ – بِالمحَافَظَةِ عَلَى المَاءِ طَاهِراً نَظِيفاً، وَلِكَي يُحَقِّقَ ذَلِكَ عَلَيْهِ:

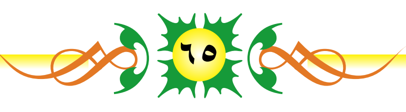
- أَلاَّ يَتَبَوَّلَ وَلاَ يَتَبَرَّزَ فِي الـمَاءِ أَوْ عَلَى ضِفَافِ الأَنْهَارِ وَالتُّرَعِ.
- أَلاَّ يُلْقِي الْقَاذُورَاتِ فِي الـمَاءِ.
- أَلاَّ يُلْقِي الحَيَوَانَاتِ الميتَةَ فِي الـمَاءِ كَمَا نَرَى فِي بَعْضِ الأَمَاكِنِ.

وَيَجِبُ أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى أَنَّ كُلَّ مَنْ يُحَاوِلُ تَلْوِيثَ المِيَاهِ هُوَ خَارِجٌ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، مُسْتَحِقٌّ لِعِقَابِهِ لأَنَّهُ: لا ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ فِي الإِسْلاَمِ.

---

(١) رواه البخاري، الموارد: جمع مورد وهو منبع الماء كالبئر وغيرها .

(٢) رواه مسلم. (٣) رواه الطبراني.



الآثَارُ السَّيِّئَةُ النَّاتِجَةُ عَنْ تَلَوُّثِ المِيَاهِ:

تَحمِلُ المِيَاهُ الملَوَّثَةُ مِن المِيكْرُوبَاتِ وَالجَرَاثِيمِ مَا يَكْفِي لِتَدْمِيرِ الإِنْسَانِ وَتَحويلِ حَيَاتِهِ إِلَى جَحِيمٍ دَائِمٍ بِسَبَبِ الأَمْرَاضِ المُسْتَعْصِيَةِ الْعِلاَجِ الَّتِي سَتَنْتَقِلُ إِلَى جِسْمِهِ بَعْدَ تَنَاوُلِهِ هَذِهِ المِيَاه أَو اسْتِعْمَالِهَا فِي تَنْظِيفِ جَسَدِهِ أَوْ حَاجِيَاتِهِ، وَمِنْ هَذِهِ الأَمْرَاضِ:

الكُولِيرَا، التيفُودُ، البَاراتيفُود، الالتِهَابُ الكَبِدِيُّ الوَبَائِيُّ، شَلَلُ الأَطْفَالِ، الدوسِنْتَاريا، والفَشَلُ الكُلَوِيُّ، والإِصَابَةُ بِدِيدَانِ الإِسْكَارِس، والدودَةُ الشَّرِيطِيَّةُ والبلهَارسْيَا...إلخ.

وَتَتَسَبَّبُ المِيَاهُ الملوثَةُ فِي قَتْلِ أَكْثَرَ مِنْ مليونَيْ شَخْصٍ سَنَوِيًّا.

أَمَّا تَرْشِيدُ اسْتِهلاَكِ المَاءِ:

فَهُوَ وَاجِبٌ دِينِيٌّ لأَنَّهُ تَنْفِيذٌ لأَمْرِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعالَى-:

قال الله – تعالى –:

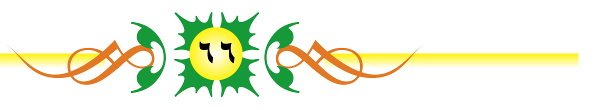
﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[1]

تَنْفِيذُ المُهِمَّةِ الَّتِي خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ أَجْلِهَا وَهِيَ عِمَارَةُ الأَرْضِ.

وَهُوَ وَاجِبٌ قَوْمِيٌّ لأنَّ مَلاَيِينَ الأَفْدِنَةِ مِنَ الأَرْضِ تَحْتَاجُ إِلَى كُلِّ قَطْرَةِ مَاءٍ لِزِرَاعَتِهَا وَتَعْمِيرِهَا.

---

(١) سورة الأعراف الآية (٣١).



وَهَذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا تَرْشِيدَ الاسْتِهْلاَكِ فَكَانَ يَتَوَضَّأُ بِمُدٍّ[1] وَيَغْتَسِلُ بِصَاعٍ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **«رَأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلاً يَتَوَضَّأُ فقَالَ: لاَ تُسْرِفْ، لاَ تُسْرِفْ»**[2].

ـ وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ.

فَقَال ﷺ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟

فَقَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفِي الوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟

قَالَ ﷺ: «نَعَمْ وَلَوْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ».

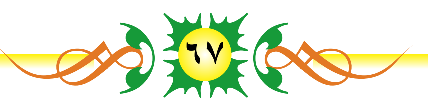
تَرَى لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ رَأى مَا يَحْدُثُ الآنَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ الَّذِينَ يهْدرُونَ المَاءَ هَدَرًا وَيُضيِّعُونَهُ هبَاءً فَمَاذَا هُوَ قَائِلٌ لَهُمْ؟ وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ:

- خَرَاطِيمُ المِيَاهِ المفتُوحَةُ فِي الشَّوَارِعِ طَوَالَ النَّهَارِ واللَّيْلِ فِي رَشِّ الشَّوَارِعِ وَغَسِيلِ السَّيَّارَات.
- صَنَابِيرُ المِيَاهِ التَّالِفَةُ الَّتِي تَرْمِي بِآلاَفِ الأَمْتَارِ من المِيَاهِ إِلَى المجَارِي فِي المَدَارِسِ وَالمَصَالِحِ الحُكُومِيَّةِ، والمسْلِمُونَ يسْمَعُونَ وَيَنْظُرُونَ وَلايَتَحَرَّكُونَ لإِصْلاَحِهَا.

لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأى ذَلِكَ فَمَاذَا يَقُولُ لأَبْنَائِنَا الطُّلابِ

---

(١) المد : مكيال من الماء . (٢) رواه أبو داود .



الَّذِينَ يَتْرُكُونَ صَنَابِيرَ المِيَاهِ مَفْتُوحَةً وَيَلْعَبُونَ وَيَلْهُونَ بِهَا؟ وَمَاذَا يَقُولُ لِمُدَرِّسِيهِمْ وَمُرَبِّيهِمْ؟

مَاذَا يَقُولُ لِمُوَظَّفِي المصَالِحِ الحُكُومِيَّةِ الَّذِينَ ينْظُرُونَ إِلَى الصَّنَابِيرِ التَّالِفَةِ ولاَيَتَحَرَّكُ فِي أَفْئِدَتِهِم ضَمِيرٌ نَحْوَ هَذَا الإِهْدَارِ فِي الماءِ؟

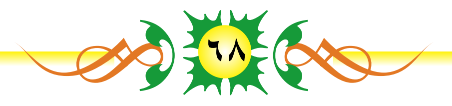
وبِمنَاسَبَةِ صَنَابِيرِ المياهِ بالمدَارِسِ وأغْلبهَا مَفتُوحٌ لَيلَ نَهارَ بدُونِ دَاعٍ.

فنحْنُ نهْمِسُ فِي أذُن زَميلنا المعلّمِ فِي أَيِّ تخَصُّصٍ بِالسؤَالِ التَّالِي:

هَل شَرْحُكَ للدّرُوسِ فَقَط هُوَ وَاجِبُكَ نَحْوَ تَلامِيذِكَ وَوَطَنِكَ... لايَاأَخِي.. فَدَوْرُكَ أَرحَبُ وأشْمَلُ من ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.. أنتَ شَرِيكٌ أَسَاسِيٌّ فِي المحَافَظَةِ عَلَى البيئَةِ بكُلِّ مَا فِيهَا أو عَلَيْهَا، وبخَاصَّةٍ فِي مُحِيطِ المدرَسَةِ فليكُنْ لَكَ دَورٌ إيجَابِيٌّ، فعِنْدَمَا تَرى المِيَاهَ تَتَبَدَّدُ من الصَّنَابِيرِ والتَّلاميذَ يَعْبثُونَ بِها فَلا تَقِف مكتوفًا بل أَوْقِفْ هذا العبث.

والسؤَالُ مُوَجَّهٌ لجمِيعِ المدرسِينَ والنُّظارِ والمديرِينَ.

وَمَا يُقَالُ عَن المدَارِسِ يُقَالُ - أيضًا - عَن المصَالِحِ الحكُومِيةِ والوزَارَاتِ والهيئَاتِ التَّابِعَةِ للدَّولَةِ.



أخى الإنسان : ولنعلم جميعاً أن :

- الماءَ نعمةٌ عظِيمةٌ من نِعَمِ اللَّهِ، فيجِبُ أنْ نُحافِظَ عليهَا مِن التَّلوثِ.
- ترشيدَكَ لاستهْلاكِ المِياهِ هو توفِيرٌ لمستَقْبلٍ مَأمونٍ لأبنائِك، وحَقهم فِى الحَياةِ.
- تَرْك صُنبورِ المَاءِ مفْتُوحًا بدُون دَاعٍ إهْدارٌ لِنعْمَةٍ مَنَحهَا اللَّهُ لَنَا وَحوْلَنَا شُعُوبٌ تَموتُ بِسَبَبِ قَطْرةِ مَاءٍ.
- الوقوفَ فِى وَجْهِ أىِ عَابثٍ أو مُفَرِّطٍ للمَاءِ ونُصْحَه عملٌ يَأمرُنَا اللهُ – تَعَالَى – بِهِ لأنَّ: الدِّينَ النصِيحةُ، ولأَنّنا بذَلِكَ نَحمِيهِ ونَحْمِى أنفُسَنَا وأَهْلنَا وأَبنَاءَ وَطَنِنَا جَمِيعًا.
- إصْلاحَ الصُّنبورِ التَّالِفِ الذى يهْدِرُ الماءَ لنْ يتكلَّفَ أكْثرَ مِن ثَمَنِ رَغيفٍ مِن الخبزِ، وسَوفَ تَنَالُ ثَوَابَى الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

إِنَّ الإِكْثَارَ من الأمَاكِنِ الخَضْراءِ بنَبَاتَاتِهَا وأشْجَارِها له فوائدُ صحيةٌ جَمَّةٌ لجَميعِ الكَائِنَاتِ الحَيَّةِ وخُصُوصًا الإنسَان، فَهى الرئةُ الَّتِى تتنفَّسُ منهَا المُدُنُ الهواءَ النقِىَّ الصِّحِّىَّ، وتسمَحُ بتوفير أَشِعةِ الشَّمْسِ بأماكِنِهَا المفتوحَةِ بعْدَ ما ارتَفَعَت المسَاكِنُ وأصْبَحَت تُنَاطِحُ السَّحابَ وتمنعُ أشعَّةَ الشَّمْسِ والهَوَاءَ، وتَسمحُ أيضًا بتوفِيرِ الإِضَاءَةِ النَّهاريةِ وحُرِّيةِ الحركَةِ، وتَوفِيرِ الراحَةِ بالإضَافَةِ إِلَى التَّأْثيرِ النفْسِىِّ فَالعَيْنُ ترتاحُ للْمَنَاظِرِ الطَّبيعيَّةِ والأنفُ يَستَفِيدُ مِن رائحةِ النباتَاتِ.

ازرعْ شجَرَةً :

عَنْ أَنَس بن مَالِكٍ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«إنْ قامَتِ السَّاعَةُ وبيَدِ أَحدِكُمْ فَسِيلَة فإنِ استطَاعَ ألا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»(١).

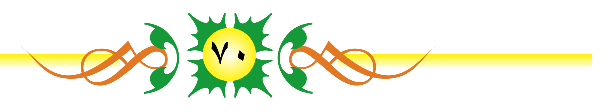
لماذَا يَهتمُّ الرسُولُ الكَرِيمُ بزِراعَةِ الأَشْجَارِ؟

لأَنَّ الشجرةَ مصْفَاةٌ طبيعِيَّةٌ تُرشِّحُ الهواءَ وتنقِّيه، فَهِى تَقُومُ بامتِصَاصِ الغَازاتِ السَّامَّةِ مِثْلِ «ثَانى أكسِيدِ الكَرْبون» الموجُودِ فى الهَوَاءِ ثم تحوِّلُها إِلَى غَازاتٍ نافِعةٍ «أكسجين» لجميعِ الكائِنَاتِ الحَيَّةِ.

ولأنَّ الشَّجرَةَ تُلَطِّفُ حَرَارةَ الجَوِّ فى أَوقَاتِ الصَّيفِ وخُصُوصًا فِى المنَاطِقِ الحارَّةِ.

ولأن الشَّجرَةَ حاجزٌ طبيعىٌّ ضِدَّ الرِّياحِ الشَّدِيدةِ المحمَّلةِ بالأتْربةِ والرِّمَالِ.

(١) رواه أحمد، الفسيلة: النخلة الصغيرة .



ولأنَّ الشَّجَرَةَ تحمِلُ الغِذَاءَ للإنْسَانِ والحيوانِ والطَّيرِ.

قال الله – تعالى – :

﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[1]

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فإنَّ مَنْ يزرعُ شَجَرةً ويتعهَّدُها بِالرعَايةِ يظْفَرُ بثَوابٍ عَظِيمٍ.

عَنْ أنَس بنِ مَالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يغرِسُ غَـرْسًا أوْ يـزْرَعُ زرْعًا فيأكُلُ مِنْه طَيْـرٌ أوْ إنْسَـانٌ أوْ بَهِيمةٌ إلا كَانَ لَه به صَدَقة»[2].

وعَنْ جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:

«مَا مِنْ مُسلمٍ يغْرِسُ غَرْسًا إلا كانَ ما أُكِلَ مِنهُ له صَدَقَة، وَمَا سُرِقَ منهُ له صَدَقة، وما أكَلَ السبعُ مِنهُ فَهوَ له صَدَقةٌ ومَا أكَلَت الطيرُ فَهُوَ له صَدَقةٌ ولا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إلا كَانَ له صَدَقَةً»[3].

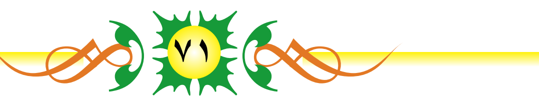
ولأهمِّيّةِ الشَّجَرَةِ ومَكَانَتِها العَظِيمةِ وفَائِدَتِها نَجدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يتوعـدُ مَن يقطعُ الشجَرَ الموجُودَ فِي طريقِ النَّاسِ بنَارِ جَهنَّمَ – أعَاذَنَا اللَّهُ مِنْها –.

عَنْ عبدِاللهِ بن حَبَشيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلاةٍ يسْتظِلُّ بهَا ابنُ السبيلِ والبَهَائِمُ عَبَثًا وظُلمًا بغَيْرِ حَقٍّ يكونُ له فِيها صَوَّبَ اللَّهُ رأسَهُ فِي النَّارِ»**[4].

---

(١) سورة يس الآية ٣٥ . (٢) رواه البخاري. (٣) رواه مسلم، يرزؤه: يصيبه أو يناله .

(٤) رواه أبو داود، المراد بالسدرة : الشجرة ، الفلاة : الصحراء .



مَذابحُ الأشجار :

تُطَالِعُنا الصُّحُفُ ووسائلُ الإعْلامِ بصَرْخَاتِ أَصْدِقَاءِ البيئَةِ المخلِصِينَ، الَّذِينَ هُمْ حَقًّا خُلَفَاءُ اللَّهِ – سُبْحَانَهُ وتَعَالى – فِي الأرضِ، بما يَحْدُثُ فِي أماكنَ كَثيرةٍ من بِلادنَا مِنْ قَطْعٍ للأشْجَارِ وإزالَتِهَا بِواسِطَةِ أعدَاءِ البيئَةِ والطَّبِيعةِ، وَلاتزالُ مَذابحُ الأشْجَارِ مُسْتمِرّةً.

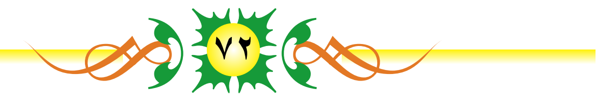


إزالة الأشجار جريمة

إنهمْ لايذْبَحُونَ الأَشْجارَ فقَط، ولكنهُم يذْبَحُون الأجْيَالَ القَادِمَةَ.

إِنهُم يقْتُلُونَ خَلْقًا مِن خَلْقِ اللَّه يُسبِّحُ بحَمْدِهِ ويَسْجُدُ لَهُ.

إنهُمْ يُحْدِثُونَ خَلَلاً فِي التَّوازُنِ البيئِيِّ لِلْكَوْن.



يَحْدُثُ هَذَا للأَسَفِ فِى مِصْرِنَا الحَبِيبَةِ مِن أفْرادٍ، بينَما نَجِدُ أَنَّهُ فى الدُّوَلِ الأُوروبيَّةِ لاتَسْتَطِيعُ حكومةٌ قطعَ شجرةٍ لأَنَّ الشجرةَ ثروةٌ قوْمِيةٌ، وَقِيمةٌ فَنِّيَّةٌ وجَمَالِيَّةٌ وصِحِّيَّةٌ لِلإِنسَانِ.

أليسَ الأَوْلَى أنْ نكُونَ نحنُ منْ أكثَرِ الشعُوبِ مُحَافظةً علَى الأشْجَارِ والنباتَاتِ مِن غيرِنَا؟ فالشَّجرةُ عِندَنَا كمَا هِى عِنْدَهم ولَكِنَّنا نَزِيدُ عَنْهم أَنَّنَا بالمحافَظَةِ عَلَى الأشْجَارِ نكسَبُ ثَوَابَى الدنْيا والآخِرَةِ.

تدريبات على الباب الثانى

١ – «الصَّلاةُ نِظَامٌ بَدِيعٌ» وَضِّح ذَلِكَ .

٢ – قَالَ أحَدُ السَّائِحِينَ وكَانَ فِى زِيارةٍ للجَامعِ الأزهَرِ : «إِنَّهُ شىءٌ رائعٌ» فَمَا هَذا الشىءُ الَّذِى أُعجِبَ بِه السَّائحُ؟ ولماذا ؟

٣ – مَا المَقْصُودُ بتنظِيمِ النَّسْلِ ؟

٤ – ضَعْ عَلامةَ (✓) أمامَ الصوابِ وصَوِّب الخَطأَ فيمَا يأتى:

(ا) تنظيمُ الأُسْرَةِ يَعْنِى تَحديدَ النَّسْلِ . ( )

(ب) إِنَّ تنْظيمَ الأسْرةِ لا يَتعارضُ مَعَ الإسْلامِ . ( )

(جـ) إزَالَةُ الأذَى عَن الطَّرِيقِ شُعْبَةٌ مِن شُعَبِ الإيمانِ. ( )

٥ – عَلل :

١ – إنزالُ اللهِ – سبحانَهُ – الماءَ بقَدَرٍ .

٢ – ترشيدُ استهْلاكِ الماءِ واجبٌ دِينىٌّ .

٦ – المسْلِمُ نظيفُ اللسانِ والجوارِحِ. بَيِّن ذَلِكَ مع الأمثلة .

٧ – أَكْمل :

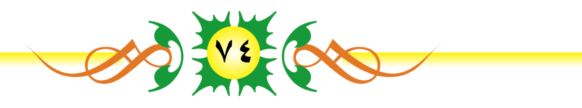
(ا) المحافظَةُ عَلَى الماءِ له شِقَّانِ : ١ – .... ٢ – ....

(ب) مِن الآثَارِ السَّيئَةِ لتلوثِ المياهِ : .... و ....

٨ – قَالَ رسُولُ الله ﷺ : (اتقُوا الملاعِنَ الثَّلاث: البُرازَ فى الموارِد وقارِعَةِ الطَّرِيقِ والظِّلِ).

(ا) ما المقصودُ بالموارِدِ ؟

(ب) ما أثرُ الالتزامِ بما وَرَدَ فِى الحديثِ الشَّريفِ ؟





الباب الثالث

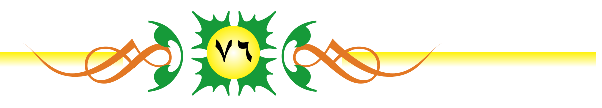
أمورٌ مُخِلَّةٌ بالتوَازُنِ البيئِيّ



مِنَ الأمُورِ المخلَّةِ بالتَّوَازُنِ البيئىِّ: تَلوُّثُ الماءِ، وتَلوُّثُ الهَواءِ، والقَضَاءُ عَلَى الأشْجَارِ والخضرةِ، والصَّيدُ الجَائِرُ الذى أدَّى إلى انْقِراضِ أنْواعٍ كَثِيرةٍ من الحَيوانَاتِ والطُّيورِ... ومنهَا السَّرِقَةُ والغَصْبُ والاخْتِلاسُ والرِّشْوةُ والمحْسُوبيَّةُ والغِشُّ والخداعُ...إلخ وقد سَبَقَ الحَدِيثُ عنهَا فِى البَابِ الأَوَّلِ.

(أ) التطرُّفُ والإرهَابُ

قُلْنَا فيمَا سبَقَ إنَّ مُهمَّةَ الإنْسَانِ فى الأرْضِ هى عِمَارَتُهَا، والمحافَظَةُ على التَّوازُنِ البيئىِّ بِها، وإنه لِكَىْ يؤدِّىَ هذهِ الوظِيفَةَ لابُدَّ أنْ يَلْتَزِمَ الاعْتِدَالَ والتَّوسُّطَ فى كُلِّ أُمُورِهِ، وَقُلْنَا إنَّ الإنسَانَ قَد تُقَابِلُهُ بَعْضُ المُغْرِيَاتِ أثْنَاءَ قِيَامِهِ بِهَذِهِ المُهِمَّةِ، فَيَتَحَوَّلُ مِنْ مُعَمِّرٍ إلى مُفْسِدٍ ومُتْلِفٍ، ومن هَذِهِ المُغْرِيَاتِ الَّتِى تُقَابِلُهُ المالُ إِذَا أصبحَ غايةً وهدفًا، لا وَسِيلةً تُعينُهُ على تَحقيقِ غاياتِهِ فيتمادَى فى جَمْعِهِ بالطرقِ المشروعةِ أحيانًا وغيرِ المشْروعةِ أحْيانًا، ومنها أيضًا حبُّ الجَاهِ والسّلطانِ والتَّحكمِ



والسَّيْطرةِ فكان الناتجُ الطبيعىُّ لهذَا الجنوحِ والبُعْدِ عن التَّوسُّطِ والاعتدَالِ هو: التطرُّفُ والإرهابُ.

والتَّطَرُّفُ: معناهُ مُجاوزةُ حدِّ الاعتدالِ والتَّوسُّطِ، والجنوحُ إلى المبالغةِ والتَّشدُّدِ.

والإرْهَابُ: هو التَّخويفُ والتَّفزيعُ، واسْتخدامُ القوةِ الغاشمةِ التى لا تُفرقُ بين عدوٍّ وصديقٍ، ولا بينَ صغيرٍ وكبيرٍ، للوصُولِ إلى مَكاسِب غيرِ مشروعةٍ، والإرهابِىُّ هو الذى يسلكُ طريقَ العنفِ والإرهابِ لتحقيقِ أهدافِهِ.

والتَّطرفُ والإرهابُ من الأُمُورِ التِى تحدثُ خللاً كبيرًا فِى التَّوازنِ البيئىِّ بما يحدِثُهُ من فسادٍ واضْطِرابٍ فى المجتمعِ وترْويع لأبنائهِ، وضياعٍ لثرواتِهِ وتبديدٍ لمقدراتِهِ، فَيَحِلُّ الظلمُ محلَّ العدلِ، وينتشِرُ الخوفُ ويضيعُ الأمْنُ الذى هو نعمةٌ من نِعَمِ اللَّهِ على عبادِهِ.

ومن الأخطاءِ التى يقعُ فيها الكثيرُ من الناسِ أنهم يَتَحدَّثونَ عن الإرْهَابِ على أنَّهُ ظاهرةٌ حَدِيثَةٌ، ولو أنهم قَرءُوا التَّاريخَ ووعَوْهُ لاكتشَفُوا خطأهم الذى وَقَعُوا فيه، فالإرهابُ والتطرُّفُ فى الرأْى والفِكْرِ والعقيدةِ قديمانِ قِدَمَ الإنسَانِ، وسنكتَفِى ببعضِ الأحداثِ التاريخيةِ التى تُوضِّحُ ذلك:



اخْتلفَ الأَخَوانِ هابِيلُ وقابِيلُ ابْنا آدمَ، ولنسْتمعْ إلى القرآنِ الكريمِ يحْكِي ما يحدُثُ:

يقول – سبحانه وتعالى –:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(١)

لقدْ تَحوَّلَ قابيلُ إلى قاتل عِندَمَا تطرَّفَ فى تفْكِيرِهِ وأعماهُ الحِقدُ والحَسَدُ على أخِيهِ وهو أقربُ النَّاسِ إليهِ، وهكذا يضُرُّ القاتل نفسَهُ وأهلَهُ والإنسانيَّةَ جَمعاءَ، لَقَدْ كانَ قابيلُ أوَّلَ قاتلٍ عَلَى الأَرْضِ.

وَإذَا انتقلنَا إلى قَصَصِ الأَنبياءِ فَسوفَ نجدُ التطرفَ والإرهابَ من الكافِرينَ المعانِدينَ، بدْءًا من قَومِ نوحٍ عليه السلام، وانتهاءً بقومِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) سورة المائدة الآيات (٢٧ – ٣٠)، تبوء: ترجع.



فقوم نوحٍ عليه السلام سخِرُوا منه، وعذَّبُوه ومن آمنَ معهُ.

وقومُ إبراهيمَ عليه السلام وضعُوه فى النارِ لإحراقِهِ لولا عنايةُ اللَّهِ.

واستمرَّ مُسلسلُ التطرفِ والإرهابِ ضدَّ الرسلِ والمؤمنينَ بهمْ من البشرِ.

وتطرَّفَ اليهودُ فى الجزيرةِ العربيةِ ضدَّ نصارَى (نجران) فأشْعلُوا النيرانَ فى الأُخْدُودِ واستاقُوا عِشرينَ ألفًا من المؤمِنينَ بالمسيحيةِ إلى هذِه النِّيرانِ.

وقد جاءَتْ قصّتُهُم فى القرآنِ الكريمِ «سورة البروج»:

قال الله – تعالى –:

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ (١)

أمَّا الْخطَأُ الْفَادِحُ الذى يُرَدِّدُهُ الْكَثِيرُ من الْغَرْبِيِّين، والتَّجَنِّى وَاضِحٌ فِيهِ، هُوَ أَنَّ الإِرْهابَ صِنَاعَةٌ إِسْلامِيَّةٌ، وَزِيادَةً فِي التَّعَصُّبِ والتَّعَنُّتِ ألحقُوا الإِرْهَابَ بالإِسْلام، وَهُوَ جَهْلٌ بالإِسْلاَمِ وَتعالِيمِهِ، فَالإِسْلاَمُ دِينُ اليُسْرِ والرَّحْمَةِ والسَّمَاحَةِ. وظَهَرَ ذَلِك جليًّا مِن سِيرَةِ النبىِّ ﷺ وصحابتِهِ الكِرَامِ رضوانُ اللهِ تعالَى عليهم.

فهلْ (كَارْلُوس) الإِرْهَابِيُّ الشَّهِيرُ والَّذى مَارَسَ إِرْهَابَهُ فى مُعْظَمِ دُوَلِ العَالَمِ مُسْلِمٌ ؟!!

---

(١) سورة البروج الآيات (٤ ـ ٨)، الأخدود: الشق العظيم .



لا تَظْلِمُوا الإِسْلاَمَ فَهُوَ:

دِينُ الْيُسْرِ والسَّمَاحَةِ.

قال الله – تعالى –:

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ (١)

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ وَقَفَ أَمَامَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَذَّبُوهُ وَعَذَّبُوا أَصْحَابَهُ، بل وَحَاوَلُوا قَتْلَهُ، وَقَفَ أَمَامَهُمْ وَقَدْ مَكَّنَهُ اللَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– مِنْهُمْ وَقَال لَهُمْ:

«مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟»

قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ.

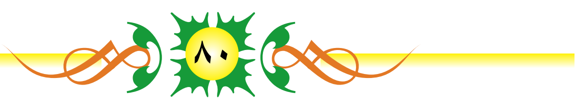
فَقَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُم الطُّلَقَاءُ، لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ، الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ».

تَكَرَّرَ هَذَا الْموقِفُ كَثِيرًا من النَّبِى ومِن الذين جاءُوا من بَعْدِهِ مَعَ الأَعداءِ مِن كُلِّ مَذْهَبٍ وَدِينٍ.

قَال الله – تَعَالَى – :



(١) سورة النحل الآية (١٢٥). (٢) سورة الممتحنة الآية(٨)، المقسطين : العادلين .



فالْمَولَى – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – فى الآيَةِ السَّابقَةِ لا يَنْهَى الْمُسْلِمينَ عن الْبِرِّ والإِحْسان والْعَدل مَعَ غَيْرِ المُسْلِمِينَ ما دَامُوا فى سِلْمٍ مَعَ المُسْلمِينَ، وَحُسْن صِلَةٍ.

وَقدْ حَضَّ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ عَلَى التَّسَامُحِ وَحَبَّبهُ إلى الْمُسْلِمِينَ بِالفِعْلِ كَمَا حَدَثَ فِى فَتْحِ مَكَّةَ وَغيرِها كما ذَكَرْنا سَابِقًا، وبِالْقَوْلِ فقَالَ ﷺ:

«مَنْ ظَلَمَ مُعَاهدًا أو انْتَقَصَهُ أو كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أو أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

قال الله –تعالى –:



عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالَ:

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[3].

وقال ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا»[4].

الإسلامُ دِينُ الحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

---

(١) أخرجه أبو داود.
(٢) سورة الأنفال الآية (٦١).
(٣) رواه الإمام النسائى.
(٤) رواه الإمام البخارى.



قال الله – تعالى – :



وقال – سبحانه – :

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٢)

والإسْلاَمُ يُقَرِّرُ أن الاعْتِداءَ على النَّفْسِ الإنْسَانِيَّةِ الواحِدَةِ هو اعْتِدَاءٌ على الإنْسَانيَّةِ كُلِّها.

قَالَ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – :

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (٣)

وكانَتْ آخِرُ وَصَايَا الرَّسُولِ ﷺ فى خُطْبَةِ الْوَدَاعِ تَتَضَمَّنُ حُرْمَةَ الدَّمِ والْمَالِ والعِرْضِ.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِى حَجَّةِ الوَدَاعِ:

«أَلا أىُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أعْظَمُ حُرْمَةً؟ قالُوا: ألا شَهْرُنَا هذَا، قالَ: ألا أىُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أعْظَمُ حُرْمَةً؟ قالُوا: ألا بَلَدُنَا هَذَا قال: ألا أىُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أعْظَمُ

---

(١) سورة النحل الآية (١٢٥). (٢) سورة العنكبوت الآية (٤٦).
(٣) سورة المائدة الآية (٣٢).



حُرْمَةٍ؟ قالُوا: ألا يَوْمُنَا هَذَا، قال: فإنَّ اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وتَعَالَى ـ قدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأمْوالكُمْ وَأعْراضَكُمْ إلا بِحَقِّهَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِى بَلَدِكُمْ هَذَا فِى شَهْرِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ ـ ثَلاثا ـ كُلَّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ ألا نَعَمْ، قالَ وَيْحَكُمْ أوْ وَيْلَكُمْ لا تَرْجِعُنَّ بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[١].

(ب) الإدْمانُ والمُخدّرَاتُ :

مَيَّزَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – الإنْسَانَ على سَائِرِ الْمَخْلُوقاتِ بِالْعَقْلِ، وَجَعَلَهُ خَلِيفَةً فى الأرْضِ، بِالْعَقْلِ سَادَ الإنْسَانُ الْكَوْنَ وَطَوَّرَهُ، واسْتَفَادَ من مَعَادِنِهِ وَخَيْرَاتِهِ المخْبُوءَةِ.

بِالْعَقْلِ سَمَا الإنْسَانُ بِفِكْرِهِ وأُسْلُوبِ حَيَاتِه، واكْتَشَفَ كُلَّ مَا حَوْلَهُ من نَبَاتٍ وحَيَوَانٍ وَجَمَادٍ وَسَخَّرَ الجَمِيعَ لِرَاحَتِهِ وخِدْمَتِهِ.

يقول الله – سبحانه وتعالى –:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٢]

---

(١) رواه البخارى.

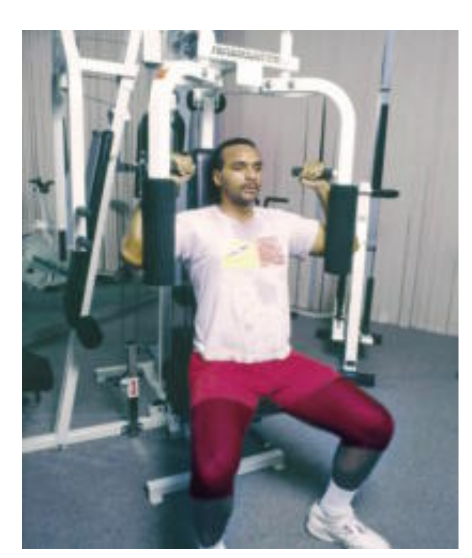
(٢) سورة البقرة الآية (١٦٤).

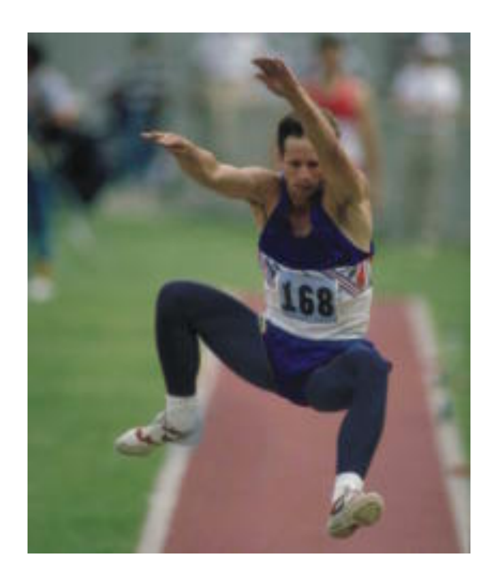


بِالْعَقْلِ اهْتَدَى الإِنْسَانُ إلى خَالِقِهِ، واجْتَهَدَ فى طَاعَتِهِ فاسْتَحَقَّ رِضْوَانَهُ، والكُفَّارُ عِنْدَمَا أَهْمَلُوا عُقُولَهُمْ لم يَتَوَصَّلُوا إلى طَرِيقِ الْهُدَى واسْتَحَقُّوا غَضَبَ اللَّهِ وعِقَابَهُ وها هُمْ أولاءِ يَعْتَرِفُونَ بِذلِكَ كَمَا يَحْكِي القرآنُ الكَرِيمُ عنهم فى سُورَةِ «المُلْكِ»:

قال الله – تعالى –:



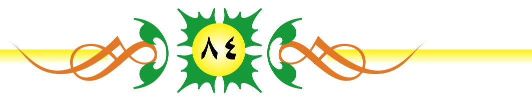




العقل السليم فى الجسم السليم

---

(١) سورة الملك الآيتان (١٠ و ١١).



وَالْعَقْلُ من أَعْظَمِ النِّعَمِ التى مَنَّ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى – بِهَا على الإنْسَانِ، وَيجِبُ عَلَيْهِ المحَافَظَةُ على هَذِه النِّعْمَةِ الْجليلةِ وَأن يصونَها، لأنَّهُ بِالْعَقْلِ يَنْعَمُ فى دُنْيَاهُ وَآخِرتِهِ، وَبِهِ يُوَازِنُ بَيْنَ مُتَطَلَّبَاتِ حَيَاتِهِ، وَبِهِ يَسْتَحِقُّ الْخِلافَةَ الَّتِى أُسْنِدَتْ إِليهِ مِنْ قِبَلِ مَوْلاهُ – عَزَّ وَجَلَّ –.

وَقَدحَرَّم الإسلامُ كلَّ ما يُذْهِبُ العقلَ أو يغيِّبُهُ، فحرَّمَ الخمرَ وما شَابَهَهَا:

قال الله – تعالى –:


﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١)

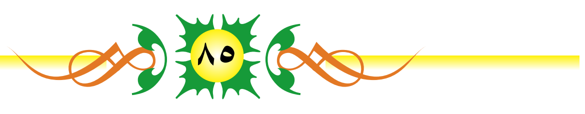
عن أَبِى هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبىَّ ﷺ قال:

«لايَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وهو مؤْمِنٌ، ولا يشْرَبُ الخمْرَ حِينَ يشربُها وهو مُؤْمِنٌ، ولا يَسْرِقُ السَّارِقُ حين يَسْرِقُ وهو مُؤْمِن»(٢).

ولكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُدَمِّرونَ هذه النِّعمةَ العظيمَةَ التى أَنْعَم اللَّه –سُبْحَانه وتعالى– بها عليهم، وهى نِعْمَةُ العَقْلِ باسْتِعمَال

(١) سورة المائدة الآية (٩٠)، الأنصاب: الأصنام، الأزلام: سهام مكتوب عليها أفعل أو لا أفعل تستخدم للتفاؤل أو التشاؤم.

(٢) رواه البخارى.



المخدِّراتِ والتَّدخين، لأن هؤلاء المُدْمِنينَ يُعَطِّلونَ عُقُولَهُم عن التفكيرِ، وَيتَحوَّلُونَ بِسَبَبِها إلى دَرجةٍ تَقْتَرِبُ مِن البَهَائِمِ الضَّالةِ التِي لاتُفَكِّرُ ولا تَعِي.

فَيَحْدُثُ خللٌ فى الميزانِ الكَوْنِيِّ، لأَنَّهُ إذا فَقَدَ الإنسانُ أهَمّ مَيْزَةٍ فِيهِ وهى العَقْلُ، فَمَنْ الذى سَيَتفكَّرُ فِي الكونِ وَيَتَدَبَّرُ؟

من الذى سَيَبْنِي ويُعَمِّر؟

من الذى سيتعلم ويُطَبِّقُ ما تَعَلَّمَه على عِمارةِ الكونِ وتطويرِه ؟

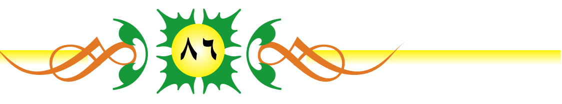
وهل يستحقُّ هذا الغائبُ عن الوعْيِ والفِكْرِ أن يَكُونَ خليفةً فى الأَرْضِ؟

سوف يَتَحوَّلُ المُدْمِنُ إلى عِبءٍ ثَقِيلٍ على أُسْرَتِه وعلى مَنْ حَوْلَه، وسوفَ يتحولُ إلى مُخَرِّبٍ ومُدَمِّرٍ للبيئةِ والمجتَمَعِ، مُدَمِّرٍ لكُلِّ ما هو صالحٌ فى حياتِه وحياةِ أبنائِه وأهْلِه، وبنظرةٍ سريعةٍ إلى حوادثِ العُنفِ والقَتْلِ والسَّرِقَةِ والاغْتِصَابِ...إلخ. سَنَرَى أن وراءَ كُلِّ هذهِ الجرائمِ والمصائِبِ والأهْوَال مُدْمِنِينَ.

المُدْمِنُ خاسِرٌ لدينِهِ، وخَارِجٌ على طاعةِ رَبِّهِ، وهو مُسْتَحِقٌّ لِغَضَبِ اللَّهِ وعذابِه.

---

(١) سورة المائدة الآية (٩٠)، الأنصاب : الأصنام، الأزلام : سهام مكتوب عليها أفعل أو لا أفعل تستخدم للتفاؤل أو التشاؤم .   (٢) رواه البخارى.



المُدْمِنُ وَبَالٌ على نَفْسِه وأهلِه ومجتمعِه.

المُدْمِنُ مُدَمِّرٌ ومُخَرِّبٌ لِلْبِيئةِ والكونِ مِنْ حَوْلِه.

المُـدْمِنُ مُنْـحَرِفٌ عَـنِ الطَّرِيقِ المُسـتقِيمِ، وبعيدٌ عن مَنْهَجِ اللَّهِ -سُبْحانه وتعالى-.

مُقاومةُ الإِدمانِ ومُحَارَبَتُهُ واجِبٌ دينِيٌّ ووطنِيٌّ وإنسانِيٌّ.

ولِكَي نُحَافِظَ عَلَى التَّوازُنِ البِيئى يَجِبُ أن:

- **نُحارِبَ التَّطَرُّفَ والإِرْهابَ ونقفَ جميعًا فى مواجهَتِهِ أفرَادًا وحُكُومَاتٍ.**
- **نَسْتَأصِلَ الإدمانَ من بلادِنا ونُحارِبَ مَنْ يَقُومُونَ بترويج المخدراتِ حَرباً شَعواءَ.**

عزِيزِى الطالِب.... عَزِيزَتِى الطَّالِبَة تَذَكَّرْ أَنَّ :

١ – مهمةَ الإِنسانِ فى الأرضِ عِمَارَتُها وعدمُ الإِفسَادِ فيها .

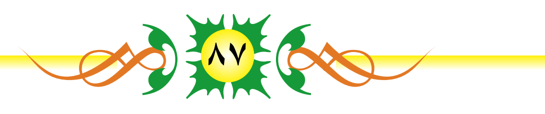
٢ – من يُلْصِقُ الإرهابَ والتطرفَ بالإسلامِ يخطئُ كثيرًا فالإسلامُ بَرِىءٌ مِن ذَلِكَ.

٣ – التطرفَ والإرهابَ يُحْدِثُ خَللاً فى التوازُنِ البيئِىِّ .

٤ – الإسلامَ دِينُ اليُسْرِ والسَّمَاحَةِ فى كُلِّ الأحوالِ .

٥ – الإدمانَ والمُخدِّراتِ يُدَمِّرَانِ صحةَ الإنسانِ وبيئَتَهُ .

٦ – التدخينَ إهلاكٌ للصحةِ وضياعٌ لِلمَالِ وَتَلَوُّثٌ للبيئَةِ .



تدريبات على الباب الثالث

١ - أكمل :

(ا) مِنَ الأُمُورِ المُخِلَّةِ بالتَّوازُنِ البيئى ...... و ..... و.......

(ب) مهمّةُ الإنسانِ فى الأرض هى : ....

(جـ) مِنْ صُوَرِ إرْهابِ الرُّومانِ للمسيحيين ١ - ..... ٢ - ......

٢ - كيفَ يَتحوّلُ الإنسانُ مِنْ مُعَمِّرٍ فى الأرض إلى مُفْسِدٍ فيها ؟

٣ - يُحْدِثُ التطرفُ والإرهابُ خللاً فى البيئةِ. وضِّحْ ذلك .

٤ - الإرهابُ ليسَ ظاهرةً حديثةً بل هو ظاهرةٌ قديمةٌ قِدَمَ الإنسانِ.

ناقش مع الأمثلة .

٥ - متى تَحَوَّلَ قابيلُ إلى قاتل ؟

٦ - لَخِّصْ قصةَ أصحابِ الأُخْدُودِ بأسلوبك .

٧ - بِمَ تَرُدُّ على مَنْ يُرَدِّدُ أَنَّ الإرهابَ صناعةٌ إسلاميةٌ ؟

٨ - اذكُر بَعْضَ الأمثلةِ تَسْتَدِلُّ بها على التسامُحِ فى الدينِ الإسلامِىّ.

٩ - ضع علامة (✓) أمام الصواب وعلامة (✗) أمام الخطأ:

(ا) الإسلامُ يُقَرِّر أَنَّ الاعتداءَ على النَّفْسِ الإنسانيةِ هو اعتداءٌ على الإنسانيةِ كلِّها . (   )

(ب) على الإنسانِ أن يجمعَ المالَ بالطُّرُقِ المَشْرُوعَة أَحْيَانًا وغيرِ المَشْرُوعَةِ أَحيانًا أخرى. (   )

(جـ) مَيَّزَ اللهُ الإنسانَ على سَائِرِ المَخْلُوقاتِ بالعَقْلِ. (   )

(د) سَخِرَ قَوْمُ نُوحٍ عليه السلام منه وَوَضَعُوه فى النارِ لإحراقِهِ. (   )

١٠ – علل :

(ا) يَتَحوَّلُ المُدْمِنُ إِلى عِبْءٍ ثَقِيلٍ على أُسْرَتهِ وعلى مَنْ حَوْلَه.

(ب) تَتَضَمَّنُ خُطْبَةُ الوَدَاعِ حُرْمَةَ الدَّمِ والمالِ والعِرْضِ من القرآن والسنة.

١١ – ما الذى ترتب على :

(ا) إِهْمَالِ الكُفَّارِ لِعُقُولِهم ؟

(ب) الإِدمانِ وعَدَمِ التخلصِ منه ؟

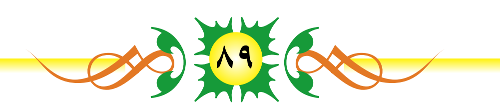
١٢ –

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

(ا) **ما معنى** (تَبَرُّوهم) (تُقْسِطُوا) ؟

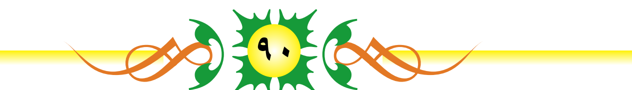
(ب) **ما الذى لا ينهانا** الله عنه فى الآية؟ وعلام يدل ذلك ؟

١٣ – كيف يُدَمِّرُ بَعْضُ النَّاسِ نِعمَةَ العَقْلِ التى منحها اللهُ لهم ؟



الباب الرابع

دُرُوسٌ مِن القُرآنِ والسُّنَّةِ فى المُحافَظَةِ على البيئة



تَحفَلُ آياتُ القُرآنِ الكريمِ والسُّنَّةُ النَّبَويةُ الشَّرِيفَةُ بكثيرٍ مِنَ الدُّرُوسِ النَّافِعَةِ الَّتِي تَحْمِلُ للإنسانِ الخيرَ والسعادةَ في دِينِهِ ودُنْيَاهُ، ولكِنَّنا ننظرُ حَوْلَنَا فَنَرَى أن ما يَصْنَعُهُ بَعْضُ المسلمِينَ بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عن تعاليمِ الإِسلامِ وتوجيهاتِ القرآنِ الكريمِ والرسول الأمين ﷺ .... ومن هذِه الدروسِ:

الدرس الأول: دَفْنُ المَوْتى (مَأسَاةُ قابِيل):

انتَهى الصِّراعُ بين الأَخَوَينِ (هابيلَ وقابيلَ) بِقَتْلِ قابيلَ لأَخِيهِ هَابِيلَ، وتبدأ مأساةُ قابيلَ وحيرتُهُ بعدَ قتلهِ لأخِيه.

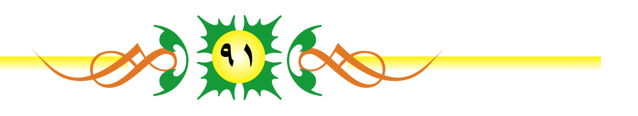
ماذا يَفْعَلُ بجثةِ أخيه؟!!

أَيَتْرُكُها فِي العَرَاءِ؟!!

أم يُلْقِيها فِي الْبَحْرِ أو النَّهْرِ؟!! ....إلخ.

وهُنا يأتِي الدرسُ الإلهيُّ للإنسانِ، فهابيلُ أوَّلُ قَتيلٍ على الأرضِ.

ماذا يفعلُ الإنسانُ بموتاه ؟!!



لاَبُدَّ مِنْ دَفْنِ المَوْتَى فِى بَاطِنِ الأَرْضِ، سَوَاءٌ أكانت لإنسانٍ أم لِغَيْرِه.

لَوْ تَرَكَ قابيلُ جُثَّةَ أخيه فِى الْعَرَاءِ لَتَلَوَّثَ الهواءُ وفَسَدَت البيئة.

ولو أَلْقاهُ فى البَحْرِ لَتَلَوَّثَ الماءُ وقَضَى على الأحياءِ التى تعيشُ فيه، ولو كان ماءً عَذْبًا كنهرٍ أو غيرِه لَفَسَدَ الماءُ الذى يَعِيشُ عليه كلُّ كَائِنٍ حَىٍّ.

هل ينطبقُ هذا على الموتَى مِنْ جِنْسِ الإنسانِ فقط؟

لا، بل ينطبقُ على الإنسانِ والحيوانِ والطَّيرِ.... إلخ، ولذلك كان الدرسُ وافيًا، فَقَدْ بَعَثَ اللَّه غُرابًا لِيَحْفِرَ فى الأرضِ وَيَدْفِنَ أخاه الغُرابَ الميتَ، فالمَوْلَى - سُبحانه وتعالى - أرادَ أن يكونَ الدَّرسُ على يدِ غرابٍ، على يد جِنْسٍ آخَرَ غَيْرِ الإنسانِ.

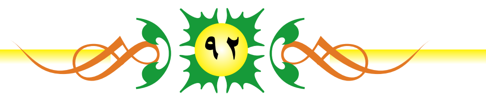
والآن مع القصةِ والدَّرْسِ من خِلالِ آياتِ القرآنِ العظيمِ.

يقول الله - تعالى -: -

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾[1]

---

(١) سورة المائدة الآيتان (٣٠، ٣١)، أوارى: أدفن، سوءة: عورة، والمراد جثة.



والآنَ ونحنُ نَسْتَقْبِلُ القرنَ الحادىَ والعِشْرين، وبعدَ مرورِ أكثر من أَرْبَعةَ عَشَرَ قَرْنًا من الزَّمانِ على نزولِ القرآنِ الكريمِ، وبعدَ أن أثبتَ العِلْمُ الحديثُ صِحَّةَ ما جاء فى القرآنِ الكريمِ **هل تَخْتَفِى صُوَرُ الحيواناتِ الميتةِ من الطُّرقِ، ومن الأنْهارِ ومجارى المياه؟**

هلْ نَتَعَلَّمُ الدَّرْسَ وندفنُ الموتَى من المخلوقاتِ بأَنْواعِها تحتَ الترابِ كما عَلَّمَنا المولى - عز وجل -؟

الدرسُ الثانِى: الصوتُ العَالِى قُبْحٌ وَتلوُّثٌ (وَصِيَّةُ لُقْمَان):

هذا الدَّرسُ جاءَ على لسانِ الحكيمِ لُقْمَانَ وهُوَ يَعِظُ ابْنَهُ:

قال الله – تعالى –: -

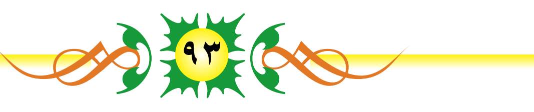
﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ (١)

لُقْمَانُ يَقولُ لابْنِه: الصَّوْتُ العَالِي قبيحٌ، وَلَوْ كَانَ الصوتُ العَالِي يُعْطِي صَاحِبَه مِيْزَةً لتَمَيَّزَ الحِمارُ عن بَاقِي الأجناسِ.

ترى هل ما يَقَعُ فِي مُدُنِنَا مِنْ ضَوْضَاءَ يَصْعُبُ وَصْفُهَا، وَيعْجَزُ الأَطِبَّاءُ عَنْ عِلاجِ أَضْرَارِها، هل هذه الضوضاءُ تُرْضِى اللَّهَ - سبحانه وتعالى -؟

---

(١) سورة لقمان الآية (١٩)، اقصد: اعتدل، اغضض: اخفض .



أَصْواتُ المصانعِ المُنْتَشِرَةِ بينَ الكُتَلِ السُّكَّانيَّةِ.

أصْواتُ آلاتِ التَّنْبيهِ المُفْزِعَةِ والتِى تَنْطَلِقُ من السَّيَّاراتِ ليلَ نهار.

أصْواتُ المُسَجِّلاتِ وغَيْرِها فى أعلى أَصْواتِها وَكَأنَّ أَصْحَابَها يَتَآمَرُون على أَنْفُسِهِم وعلى غَيرِهِم لإتلافِ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ – سبحانه وتعالى – على عِبادِهِ وهى نِعْمَةُ السَّمْعِ.

قال الله – تعالى –: ـ

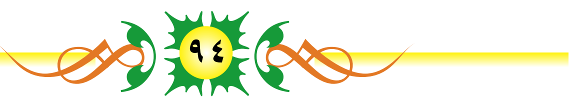
﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (١)

الضَّرَرُ لا يَقَعُ على حَاسَّةِ السَّمْعِ فقط، ولكن التلوثَ الضَّوْضَائِيَّ يَتَسَبَّبُ فى:

- **الشعورِ بالضِّيقِ والعَصَبيَّةِ وهما صِفَتَانِ أَصْبَحَتَا مُلازِمَتَينِ للإنسانِ فِى العصرِ الحاضرِ.**
- **عدمِ التَّرْكِيزِ فى العَمَلِ مما يَتَسَبَّبُ فى وقوعِ أَخْطَاءٍ كثيرة.**
- **صُعُوبةِ التخاطُبِ بين الأفرادِ فى الأماكنِ التى تكثُرُ بها الضَّوْضَاءُ.**

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣٦).



أخى صاحبَ السيَّارةِ :

السيارةُ نِعْمَةٌ فلماذا تُحولُها إلى نِقْمَةٍ عَلَيْك وعلى الآخَرِينَ، فلا دَاعِى لاستخدامِ آلةِ التَّنْبِيهِ فِى النِّداءِ على الأَصْدِقَاء، وَفِى إِظْهَارِ الفَرَحِ والسُّرُورِ فَتَتَسَبَّب فِى تَلويثِ سَمْعِ الآخرِينَ وتُزْعِجهُم، ففيهم المريضُ والمُتْعَبُ والذى يعمَلُ.

وأنت تجلسُ داخِلَ سَيَّارَتِكَ لا تَرْفَعْ صَوْتَ المُسَجِّلِ وتَسْتَعْرِض مُجَسِّمَاتِ الصَّوْتِ ومُكَبِّرَاتِه حتى لا تُتْعِب أُذُنَيْكَ وآذانَ الآخَرِين.

أخِى البائعَ فى الميادين والمَحَلاَّتِ :

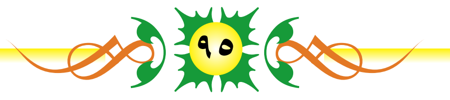
الرزقُ مِن عند الله ـ سُبْحَانه وتَعَالى ـ وليسَ بِسَبَبِ مُكَبِّراتِ الصوتِ التى تُسَبِّبُ التلَوثَ الضوضائى.

قال الله – تعالى –: ـ



---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٨).



أخي الإنسانَ في كلّ مَكَان :

- الصوتُ الهادئُ المنخفضُ دليلُ التَّقْوَى وعلامةٌ من عَلامَاتِ الحَضَارَةِ والرُّقِيِّ.
- لا تُؤْذِ جيرانَك وأهلَكَ برفْعِ أَصْواتِ أَجْهزةِ المذْياعِ والتِّلْفَازِ والمُسَجِّلاتِ، فلا ضَرَرَ ولا ضِرارَ في الإسلامِ، والمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِه ويَدِه.
- لا تُؤْذِ النَّاسَ بالألفاظِ المُؤْذِيَةِ والتَّعْبِيرَاتِ التي تَخْرُجُ عن بَابِ الأَدَبِ والحَيَاءِ، فبعضُ ما نَسْمَعُه في المذْيَاعِ أو التِّلْفَازِ في اللقاءَاتِ الجَمَاهِيريةِ مثل مُبارَيَاتِ الكُرَةِ لايَمُتُّ لآدابِ وقِيَمِ مُجْتَمَعِنا، ويَدخُلُ في بَابِ الجَهْرِ بالسُّوءِ الذى نَهَى اللَّه عنه.

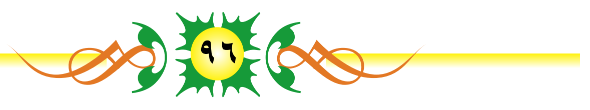
قال الله – تعالى –: -

﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾[1]

الدرس الثالث: آدابُ الطَّرِيقِ :

من السلوكياتِ التى سَيْطَرَت على بعضِ أَبْنَائنَا ما نراهُ مِنْ تصرُّفَاتٍ فيها خُرُوجٌ عن منهجِ اللهِ – سُبْحَانه وتعالى – وعن تَقَاليد مجتمَعنا وأَخْلاقيَّاته، فنرَى في الشوارعِ والمواصلات

(١) سورة النساء الآية (١٤٨).



العامَّةِ والحدائقِ وغيرِها مما نطلقُ عليها المنافعَ العامةَ مَنْ يُعاكِسُونَ الفتياتِ، وَمَنْ يقذِفُون بالعِبَاراتِ الخَارجةِ التى لا يَرْضَى عنها الله – سُبحانه وتعالى – والتى يَقَعُ مَنْ يَتَلَفَّظُ بها تَحْتَ طائلةِ القَانونِ وَنَسوا ما وَجَّهَنا إليه رسولُ الله ﷺ نحو الالتزامِ بآدابِ الطريقِ فَعَن أبى سَعِيدٍ الخُدْرى رضي الله عنه عن النَبِى ﷺ قال: « **إيَّاكُمْ والجُلُوسَ على الطُّرُقَاتِ، فقالوا: إنَّمَا هِىَ مجالِسُنا نتحدَّثُ فيهَا. قال: فإذَا أَبَيْتُم إلا المجالسَ فأعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّها. قالوا: وما حَقُّ الطريقِ؟ قال: غَضُّ البَصَرِ، وكَفُّ الأَذَى وَردُّ السلامِ، وَأَمْرٌ بالمعروفِ، ونَهْىٌ عن المنكرِ** ».

مَنْ مِنكم يَغُضُّ بَصَرَهُ ولاَ يَتَفَحَّصُ فى المارة ؟!!

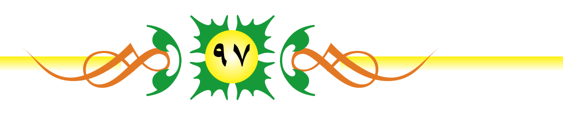
هل الذينَ يَرْمُون القَاذُوراتِ والمُخَلَّفَاتِ يَكُفُّونَ الأَذَى ؟!!

كَمْ مَرَّةً تَقَدَّمَ أَحَدُكُم وَأمرَ غَيْرَه بمعروف ؟!!

وكَمْ مَرَّة نَهَى أَحَدُكُم غَيْرَه عن الوُقُوعِ فى الخَطَأ ؟!!

مترو الأَنْفَاقِ فى القاهرةِ، وهو من أعظم المَشَارِيعِ التى أقامتها الدولةُ، والذى ينقل يوميا ما يَقْرُبُ من أَرْبَعَةِ ملايينَ راكبٍ، ماذا نَفْعَلُ للمُحَافظةِ على هذا المشروع الحَضَارِىِّ العظيم ؟!!

بَعْضُ الطَّلَبَةِ يَمْنَعونَ الأَبْوابَ مِنَ الغَلْقِ وَيَتعطَّلُ السَّيْرُ وتتعطلُ مَصَالِحُ النَّاسِ.



بعضُ الطُّلاَّب يُخْرِجُون الأقلامَ وَيكْتُبُونَ على جُدْرَانه ويشوِّهُونَ جَمَالَهُ، ويُؤْذُونَ العُيُونَ بالعِبَارَاتِ المُقَزِّزَةِ التى يَكْتُبُونَها... إلخ .

والبعضُ يَلْعَبُون الكرةَ فيؤذُونَ الجُلُوسَ وَيُتْلِفُونَ الأزهارَ... إلخ.

عَن الْبَرَاءِ : أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ مَرَّ بِنَاسٍ جُلوسٍ مِنَ الأنْصَارِ فَقالَ: **«إن كُنْتُمْ لابُدَّ فاعِلِينَ فَاهْدُوا السَّبيلَ وَأفْشُوا السَّلامَ وَأعِينُوا الْمَظْلُومَ»**(١).

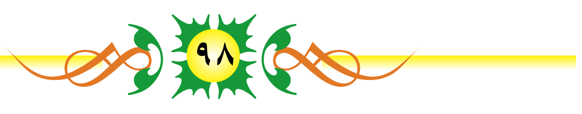
عزيزى الطالب :

– اتَّبِعْ منهجَ اللَّهِ وتَوْجِيهاتِ رَسُولِ الله الذى لا يَنْطِقُ عن الهَوَى، وأَعْطِ الطَّرِيقَ حَقَّهُ وانصح زملاءك بذلك.

– إذا وَجَدْتَ حَجَرًا أو شَوْكًا فى الطريقِ فأبعدْهُ عن الطريقِ قال رسولُ الله ﷺ : **(بينما رجلٌ يمشى بطريقٍ، وجد غُصْنَ شَوْكٍ على الطريقِ فَأَخَّرَهُ فشَكَرَ اللهُ له، فغفر له)**(٢) .

وقال ﷺ : **(الإيمانُ بِضْعٌ وسبعونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُها قَوْلُ لا إله إلا الله وَأدْنَاها إمَاطَةُ الأذى عن الطريقِ والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ)**(٣).

(١، ٢) رواه البخارى .　　(٣) رواه النسائى .



فَلْيَكُن الحياءُ رَادِعًا لكَ عن النظرِ أو إيذاءِ المَارَّةِ من الرجالِ والنساءِ بالأَلْفَاظِ الخارجةِ عن الأدَبِ، فالمسلمُ الحَقيقىُّ هو من سَلِمَ الناسُ من لسانِه وَيدِه، قال رسول اللَّه ﷺ: (**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الناسُ من لسانِهِ ويدِهِ، والمؤمنُ مَنْ أَمِنَه الناسُ على دمائهم وأموالهم**)(١) .

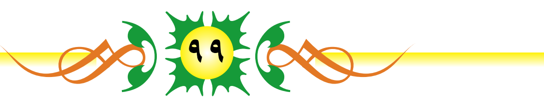
الدرس الرابع: عَاقِبَةُ الغِشّ والسَّرِقةِ فِى الميزانِ :

من السلوكياتِ التِى ظَهَرَتْ فى العُصُورِ المُخْتَلِفَةِ وزادت فى العَصْرِ الحالِىِّ ما نَراه من غِشٍّ أَو سَرِقَةٍ فى الميزَانِ من بَعْضِ البَاعَةِ والتجارِ الذين يريدون تحقيقَ رِبْح عالٍ وسَريع حتى ولو أدَّى ذلك إلى الخروج عن مَنْهَجِ اللّهِ –تعالى– ممَّن حصَلُوا على جُزْءٍ كافٍ من التَّعْلِيم، والدولةُ تَقُومُ مشكورةً بِمُسَاعَدَتِهم على العملِ الشريفِ حتى لاَ يركَنُوا إلى طابُورِ البطالَةِ، فأقامت لهم المشروعاتِ الصغيرةَ أو ساعَدَتْهُم بالأموالِ لإقامةِ مثلِ هذه المَشروعاتِ.

والأَشَدُّ أَسَفًا ومَرَارَةً أننا نرى كثيرًا منهم يَتَرَدَّدُون على المساجدِ ويؤدُّونَ الصلاةَ فى وَقْتِها، ومنهم من يقرأُ كثيرًا فى القرآنِ الكريمِ، فنرى ونَصْطَدِمُ بنماذجَ مختلفةٍ منها :

---

(١) رواه النسائى .



١ – مَنْ يَسْتَبْدِلُ ما اختارَه المُشْتَرِى فِى غَفْلَةٍ منه بآخَرَ مَعِيبٍ كَتُجَّارِ الفَاكِهَةِ الذين يَضَعُونَ أَكْيَاسًا بِها طعَامٌ فيه عيوبٌ بِجِوَارِ المِيزَانِ وفى لحْظَةٍ يَسْتَبْدِلُونَ ما اختارَه وانْتَقَاهُ المُشْتَرِى بِكِيسٍ مِنْ هذه الأَكْيَاسِ المَعِيبَةِ وإلى هؤلاءِ نَسُوقُ لهم القصةَ التَّالِيةَ التى وَرَدَتْ فى حديثِ الرَّسُولِ ﷺ:

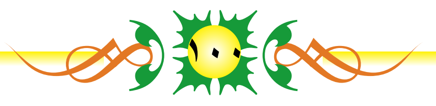
عن أَبِى هريرَةَ أن رسولَ اللَّه ﷺ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَه فيها فَنَالَتْ أصَابِعُه بَلَلاً فقال: ما هذا يا صاحبَ الطَّعَامِ؟ قال: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يارسولَ اللهِ. قال: «أفلا جَعَلْتَه فوقَ الطَّعامِ كى يراه الناسُ. مَنْ غَشَّ فليسَ مِنِّى»[1].

٢ – ومنهم مَنْ يَسْرِقُ فى الكَيْلِ والمِيزَانِ وَقَدْ حَذَّرَنَا القرآنُ الكريمُ من هذه الآفةِ قال –تعالى–:

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]

وَلِخُطُورَةِ هذه الآفَةِ على المجتمعات سَاقَ لنا القرآنُ الكريمُ قِصَّةَ قومٍ اشْتُهِرُوا بالغِشِّ فى الكَيْلِ والمِيزَانِ وَهُم قَوْمُ مَدْيَنَ، وقد

(١) رواه مسلم. (٢) سورة المطففين الآيات (١ – ٦).



أرْسَلَ لهم اللَّهُ –تعالى– نبيَّهُ «شُعَيْبا» عليه السلام لِيُحَذِّرَهُم مِنْ هذا العملِ ويُهَدِّدَهُم بِعقَابِ الله، ولكنَّهم اسْتَخفُّوا بِدَعْوتِهِ واسْتَمَرُّوا فى عِصْيَانِهِم له، فكانت عَاقِبَةُ أَمْرِهِم الهلاك فى الدنيا وعذاب الله فى الآخرةِ، وَقَدْ وَرَدَتْ قصةُ هؤلاءِ القومِ فى أكْثَر من سُورَةٍ من سُوَرِ القرآنِ الكريمِ: الأعراف، هود، العنكبوت.

يقول - سبحانه وتعالى - فى سورة الأعراف:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (١)

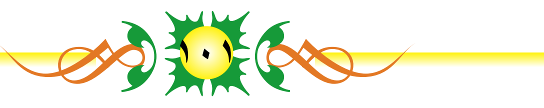
وَفِى عَاقِبَةِ أَمْرِهِم يُخْبِرُنا القرآنُ الكريمُ فى نفسِ السُّورَةِ :

قال الله – تعالى –: -

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة الأعراف الآية (٨٥) .

(٢) سورة الأعراف الآيتان (٩١، ٩٢) .



وَيَقُولُ – عَزَّ مِنْ قَائِلٍ – فى سورةِ هُودٍ :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (١)

وَيَحكِى عن النِّهَايَةِ التى كانت تَنْتَظِرُهُم فى نَفْسِ السُّورةِ :

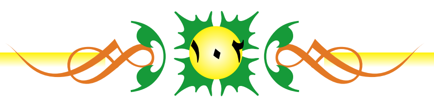
قال الله – تعالى –: ـ

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (٢)

وفى النهايةِ نَخْتَتِمُ الدَّرْسَ الإلهىَّ بالتَّحْذِيرِ وَتذْكِيرِ المخالِفِين بقولِ اللهِ – سُبحانه وتعالى – :

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣)

(١) سورة هود الآيتان (٨٤، ٨٥) .
(٢) سورة هود الآية (٩٤) .
(٣) سورة المطففين الآيات (١ – ٦) .



والآن تذكر أن:

١ – آياتِ القرآنِ الكريمِ وأحاديثَ النبىِّ ﷺ تحملُ للإنسانِ الخيرَ الكَثِيرَ فى الدنيا والآخرة.

٢ – دَفْنَ الموتَى من الكائناتِ الحيَّةِ فيه مُحافظةٌ على البيئةِ من التلَوُّث .

٣ – كلَّ مَنْ يُلْقى بِجُثَثِ الحيواناتِ أو الطُّيُورِ الميِّتَةِ فى مِيَاهِ البِحارِ أو الأنْهارِ خَارِجٌ عَنْ مَنْهَجِ اللَّه .

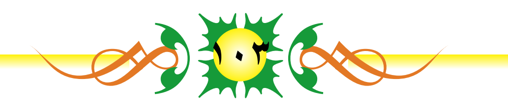
٤ – خَفْضَ الصَّوْتِ، وعَدَمَ التَّفَوُّه بالألْفَاظِ النَّابِيَةِ أَدبٌ سَمَاوِىٌّ، دعا إليه الدينُ الحَنيفُ .

٥ – الصَّوْتَ العالِى قُبْحٌ وَتَلَوُّثٌ لِلْبيئَة، وإزعاجٌ للآخَرين .

٦ – الالْتِزَامَ بآدابِ الطَّرِيقِ والمُحَافَظَةَ على وَسَائلِ المُواصَلاتِ العامَّة، والحَدَائقِ وغَيْرِها... مِنْ أَخْلاَقِ المُسْلِم .

٧ – الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْىَ عَنِ المُنْكَرِ بأُسْلُوبٍ هَادِئٍ مِنْ صِفَاتِ المُسْلِمِ الحَقِيقى .

٨ – الغشَّ فِى الامتحانِ أَوْ فى الكَيْلِ والميزانِ أَوْ فى أَىِّ أَمْرٍ من الأُمُورِ خِيَانَةٌ لِلأَمانةِ التى ائتمَنَكَ اللهُ – سُبْحَانَه وتعالى – عليها .



الخاتمــــة

إِلَى كُلِّ مَنْ يَهُمُّهُ الأمرُ.

إلى كُلِّ مِصْرِىٍّ ومِصْرِيَّةٍ.

إِلى كُلِّ مَنْ يُحِبُّ مِصْرَ... أرضَها... سَمَاءَها... نِيلَها... هواءَها... شَعْبَها.

أين أنتم جَمِيعًا مِمَّا يَحْدُثُ الآن من تَلْوِيثٍ لبيئتنا ؟!!

أين أنتم مِن التَّبْدِيدِ المُسْتَمِرِّ لِمَوَارِدِ البيئةِ مَعَ سَبْقِ الإصرارِ والتَّرَصُّدِ؟!!

أين الإيجابِيةُ السَّوِيَّةُ التى اشْتُهِرْتُم بها على مَرِّ العُصُورِ والأزمانِ؟!! الإيجابيةُ التى تمَثلتْ فى المحافظةِ على كلِّ ما هو نافعٌ ومفيدٌ، ونُصْحِ وإرشادِ مَنْ ضَلَّ عن الطريقِ السليمِ؟!!

أأنتمُ الذين قال اللَّه – سُبْحانَه وتعالى – عنهم فى كتابِهِ الكَرِيمِ:


﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]

---

(١) سورة آل عمران (١١٠).



إننا نعيشُ جميعًا فى مَرْكَبٍ وَاحِدٍ (هو وطَنُنَا) فوقَ بِحارِ الحياة المُتَلاطِمَةِ الأمـواجِ، ولكى نَضْمَنَ سَلامَةَ المَرْكَبِ وَسَلامتَنَا فلاَبُدَّ من المحافظةِ عليه من العَبَثِ وتَجْدِيدِهِ وصيانته من التَّلَفِ، قال رَسُولُ الله ﷺ :

«مَثلُ الْقائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثلِ قَوْمٍ اسْتَهَموا عَلَى سَفِينَةٍ فأَصَابَ بَعْضُهُمْ أعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذينَ فِى أسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فقالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِى نَصِيبِنَا خَرْقا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقنَا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلكُوا جَمِيعًا وَإِن أخَذُوا عَلَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا»[1].

عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ منَّا وَاجِبٌ تجَاه نَفْسه، وآخَرَ تِجَاه غَيْرِه.

- **التزامُ النظَافَةِ واجبٌ والحثُّ عَلَيْهَا واجبٌ .**
- **نظافتُك ونظافةُ الآخَرِينَ مِنْ حَولِكَ صِحَّةٌ جَيِّدَةٌ للجميع، والصِّحَّةُ الجيِّدةُ تؤدِّى إلى زيادةٍ فى الإنتاجِ الذى يُحققُ بدوره تَقَدُّما وسَعادةً وغنًى.**
- **النظامُ والتنظيمُ يوفِّرُ الوقتَ والجهْدَ، وَيُحَافظُ على المواردِ، ويَدُلُّ على الرُّقِي والحضارةِ وَيضْمَنُ احترامَ الآخَرِينَ.**
- **المحافظةُ على المواردِ الطَّبيعية فى البيئةِ والكونِ أَمرٌ يَجبُ الالتزامُ بِهِ من الجميع صَغيرًا أو كبيرًا، غنيًّا أو فقيرًا...إلخ.**

---

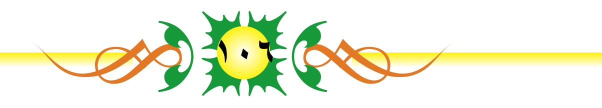
(١) رواه البخارى عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه).





• «صديقى سَامِى سافر إلى النِّمْسا لِلعملِ بمدينةِ فِيِينَّا، وفى يَومٍ من الأيامِ خرج لِلتَّجَوُّلِ قريبًا من المنزلِ الذى يسكنُ فيه واصْطَحَبَ معه ابنَ الجيرانِ وَهُو طِفْلٌ نِمْسَاوىٌّ لم يَبْلُغْ العاشرةَ مِنْ عُمره، وعند إِحْدَى الحدائقِ الصغيرةِ المُنْتشِرَةِ بالمدينةِ وقف سَامِى والطفلُ النمساوىُّ مُعْجَبَيْنِ بإِحدَى الزَّهراتِ، واقتربَ سَامِى منها محاولا شَمَّها، فما كان من الطفل إِلاّ أَنْ جذبه قائلاً:

«لا، لاتَقْتَرِبْ منها، هذا خطأٌ كبيرٌ، إنها ليستْ خاصةً بك، إنها هنا لِيَتَمَّتَعَ بها كلُّ الناسِ» آه يا بَلَدى!! الطفلُ الصغيرُ يَحْرِصُ على أَزْهارِ بلادِه وحَدَائقِها، والكبارُ هنا يَقْطفُون الأزهارَ ويَلْهون



بها، ويَقْطَعُون الأشجارَ التى فى الشوارعِ، لقد صدق الإمامُ الشيخُ «محمدُ عبده» عندما قال: **«أخلاقُهُم من دِيننا»**.

- ظل الإسلامُ رمزًا لليُسْرِ والسَّمَاحَةِ والبِرِّ والرَّحْمَةِ، والكَلِمَةِ الطيبةِ والموعِظَةِ الحسنةِ، وكلِّ ما هو جميلٌ وطيبٌ لمدة تزيدُ على أربعةَ عشرَ قَرْنًا من الزمانِ، ثم جاءت شرذمةٌ[1] من أَهْلِه مَنْ ليسوا أهلاً للانْتِسَابِ إليهِ من أصحابِ النُّفُوسِ المريضةِ، والعقولِ الجوفاءِ الخَرِبةِ لِيُحاوِلُوا تشويهَ هذه القِيَمَ الجميلةَ النبيلةَ، وَلَكِنْ هيهات..

شَدَّدُوا وصَعَّبُوا وَتَعَصَّبُوا، قَطَعُوا الأرْحَامَ وقَتَلُوا الأَبْرِيَاءَ، وحرَّمُوا الحلالَ، واسْتَبَاحُوا لأنفُسِهِم الحرمات، وَلَكِنَّ المسلمينَ الأَصِحَّاءَ لهم بالمرصادِ، ورغمَ تَطَرُّفِهِم، ومُمَارسَاتِهِم الإرهابية سوف تَظَلُّ شَمْسُ الإسلامِ سَاطِعَةً تنشرُ الحُبَّ والخَيْرَ والجَمَالَ والسَّمَاحَةَ واليسْرَ للإنسانيةِ جمعاء...

- أخى الإنسانَ المصرىَّ، بَلَدُكَ مصرُ بلدُ الحضارةِ والتَّاريخِ، بلدُ العلمِ والدِّينِ مُنْذُ آلافِ السِّنين، بَلَدُ الخَيْرِ العَمِيمِ وَمِنْ حَقِّكَ أَنْ تَفْخَرَ وَتُباهِىَ شُعُوبَ الأرضِ جميعًا بها، ولكن يَجِبُ عليك أيضًا أن تعملَ وتجتهدَ مِنْ أَجْلِهَا.

---

(١) الشرذمة: الجماعة القليلة من الناس.



قال الله – تعالى –: ـ

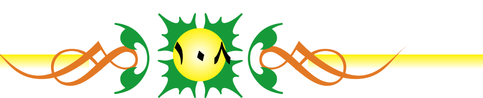
﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾[1]

وكَمَا بَنَى أَجْدَادُك مَجْدَها القَدِيمَ، فَتَقَدَّمْ وشَيِّدْ مَجْدَها الحَدِيثَ.

واللَّهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ مُعِينٌ وَمُوَفِّقٌ.

---

(١) سورة الأنعام من الآية (١٣٥) .



تدريبات على الباب الرابع

١ – دفن الموتى منهج إلهى فيه تكريمٌ للميت، وحِفَاظٌ على البيئة – وضح ذلك.

٢ – ماذا يَحدُثُ لو أَنَّ قابيلَ فعل بجثة أخيه :

(ا) ألقاها في العراء ؟ (ب) ألقاها فى البحر ؟

٣ – العلمُ والتَّعلُّمُ مُلازِمَان للإنسانِ منذُ بَدْءِ الخَلِيقة – فماذا تَعَلَّمَ قابيلُ من الغراب ؟ ولماذا ؟

٤ – ماذا تقول لهؤلاء :

(ا) الذين يُلْقُونَ الحيوانات الميِّتةَ فى الطُّرُق والأَنْهار ؟

(ب) الذين يَتحدَّثُون بصوت عالٍ، ويرفَعُونَ صَوْتَ المِذْيَاعِ ؟

(جـ) الذين يُفْزِعُونَ غيرهم بأَصواتِ آلات تنبيهِ سياراتِهم ؟

٥ – صل (ا) بما يناسبه من (ب):

(ا)	(ب)
١ – من التلوث البصرى	١ – تعاطى المخدرات والتدخين .
٢ – من التلوث السمعى	٢ – تركُ البَاعَة الجائلين الأَطْعَمَةَ مَكْشُوفة.
٣ – من التلوث الصحى	٣ – مكبراتُ الصوت بدون داعٍ.
	٤ – صوتُ ناقوسِ الصباحِ بالمدرسة .

٦ – اختر أدق إجابة مما بين القوسين فيما يأتى :

(ا) الخروجُ على منهجِ الله تعودُ عاقبته السيئةُ على الإنسان :

(فى الدنيا – فى الآخرة – فى الدنيا والآخرة)

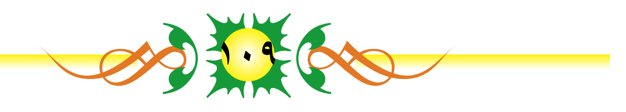
(ب) التدخينُ إتْلافٌ لـ .... (المـال – الصحة – الصحة والمال)

(جـ) الحريةُ الشخصيةُ تتوقفُ عند إلحاقِ الضرر :

(بنفسك – بالآخَرين – بنفسك وبالآخَرين)

٧ – اذكر بعضَ الدروسِ المستفادة من قصة شعيب –عليه السلام– ؟

٨ – الالتزامُ بمنهجِ الله –سبحانه– يحقِّقُ للإنسانِ السعادةَ فى الدنيا والآخرةِ – وضح ذلك فى ضوء دراستك.



أهم المراجع

١ ـ القرآنُ الكريمُ.

٢ ـ الصِّحَاحُ التِّسْعةُ.

(البخارى ومسلم والتِّرْمِذى والنسائى وابن ماجه وأحمد بن حنبل ومالك وأبو داود والدارمى).

٣ ـ أَدَبُ الحِوارِ فى الإِسلامِ تأليف أ.د. محمد سيد طنطاوى «شيخ الأزهر».

٤ ـ التفسيرُ الوسيطُ تأليف أ.د. محمد سيد طنطاوى «شيخ الأزهر».

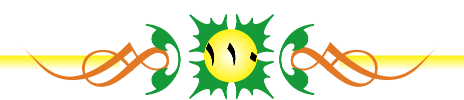
٥ ـ أَعْدادُ مجَلّة البِيئة التى تصدرُ عن جهازِ تطويرِ البيئةِ بجامعةِ المنوفيةِ.

٦ ـ البيئةُ والتلوث للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم حسن.

٧ ـ التلوث وتحسين البيئة تأليف أ.د. مهندس أحمد خالد علام، أ.د. مهندس عصمت عاشور أحمد.

٨ ـ هذا هو منهج الإسلام فى التربية للمؤلف.

٩ – خلق المسلم ، لفضيلة الشيخ الغزالى .



الفهـــرس

الموضوع	الصفحة

اللهم تقبل عملنا هذا ووفق المسلمين إلى الانتفاع به،،،

مقاس الورق	ورق المتن	ورق الغلاف	ألوان الكتــاب	عدد صفحات الكتاب	عدد الملازم	مقاس الكتاب
$\frac{١}{١٦}$ ٧٠ × ١٠٠ سم	٧٠ جرام أبيض	٢٠٠ جم كوشيه	المتن والغلاف ٤ لون	١١٦ صفحة بالغلاف	٧ ملازم	١٧ × ٢٤ سم

طبع بمطابع دار نهضة مصر للنشر بالسادس من أكتوبر

رقم الإيداع : ٤٣٠٣ / ٢٠١٦

العام الدراسى: ١٤٣٧ / ١٤٣٨ هـ ٢٠١٦ / ٢٠١٧ م

